

هشام بوطرفاس

معبد القشقشة

نصوص



دار البعث
للطباعة والنشر

هشام بو طرفاس

اسم الكتاب: معبد الفقهة

اسم الكاتب: هشام بوطرفاس

نوع العمل: نصوص

الرقم الدولي EBIN: 16-1-267-231011

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2023م / 1445هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



00212771814934



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



Darbassma1@gmail.com



المملكة المغربية

كل الحقوق
محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

مجيد الفقهة

نصوص

هشام بو طرفاس



المجدُ لهفَواتِهِ الربيعِ

1

إذا كانت هناك ثمة فضيلة للشِّعر، فهِيَ: البخلُ في اللغة. أن يمتازَ الشَّاعرُ
بنوعٍ من الحذر والتحفُّظ عند تنسيقه لقش الكلام. أن تجدَّهُ في ملكوته لا ينطق
إلا ليبي، ولا ينطق إلا ليهدم، ولا يقولُ إلا ليقول!

أيها البخلُ اللغوي الكريم!

2

التلعثمُ يغزو فَمَ الشِّعر. الارتباكُ السَّماويُّ يُمَهِّدُ لأرضٍ واعدة. الربيعُ لا يجذُّ
حرجا في أن يكونَ غمَّازةً في حدِّ وردة!

3

تنقيحُ القصيدة عمليةٌ مرجأة، لا تنتهي إلا لتبدأ من جديد. وكلما فكرتُ
في مجالسة القصيدة لبرهة، أو الأخذ بيدها محتبرا آفاقها إلا ويعتريني كسل يتسللُ
إلى مفاصلي؛ ويعيدني إلى لحظة ما قبل نشوة النوم على مخدة الجرح.

تنقيحُ القصيدة ليسَ بالأمر الهينِ كما يدَّعي الزائفون، ويزعمُ المتصنعون. هو
أصعبُ من نقل صخرة سيزيفية إلى الضفة الأخرى، وأصعبُ من الوقوف وحدكُ
عاريا أمام سماءاتِ القماش. أصعبُ من رحلة أوديسيوس على متن قارب مكسور،
تضربه العواصف والأمواج.

واستيعاب الصعوبة. استيعاب المسالك التي تغوي وتخيف، لن يتم إلا من خلال الفهم الجاد لحقيقة القش والنار، وحقيقة التجاذب الواقع بين قطعة الغيم وشعلة النجم. استيعابُ الصعوبة الاستيعاب الذكي والمحترف والمثمر لن يكون إلا من نصيب أولئك الجراحينَ الأفاضل الذين يستعملون المشروط بشكل يومي، ويتجسسون على قطرات الدم المرعبة.

أَنْ تُنْفِخَ قَصِيدَةً يعني أن تلبسَ مختلف الأقمعة التي يقترحها المعنى عليك. أن تتموضعَ في شتى الاتجاهات، وفي كل الملابسات الممكنة. أن تكون التناقضَ نفسه، تجيب بنعم ولا أمام نفس السؤال، وبينَ نعم ولا، كما يقول ابن عربي، أزمنا غريبة تحدثُ ولا يتذوقها إلا حارس المسافات.

أَنْ تُنْفِخَ قَصِيدَةً يعني أن تكون الجراحَ وتكون جسدَ المريض في نفس الوقت، تستعرضُ الأعضاء دون بنج، وتعمل على حذف ما تراه غير مناسب من الأمعاء، مع إضافة أمعاء أخرى إلى القصيدة.

4

يرفع السماءَ بيديه، ويُنجزُ الأرضَ بخطواته.

5

يحبُّ المنفى بالشعر، فهل يحبُّ الوطنُ بالثر؟

6

الكلمة صوتٌ وصمت. والشاعرُ الفدُّ يشتغلُ في ورشة الصمت.

7

لا أريدُ وضوحًا. أمنحُ الشيءَ غلالة، وأرقبُ السرَّ عن كئيب.

8

أغمضُ عيني، علَّ يدًا تدرُسُ قصيدةً في الحلم.

معنى بعفويةِ الريح.

9

قصيدةُ النثر تسميةٌ خاطئةٌ لوصفِ كتابةٍ شعرية. تسميةٌ أتت نتيجة الإعجابِ والهرولة. ضربةٌ حظ. نردُّ يتلعثمُ في كفِّ المقامير.

10

كلُّ شاعرٍ مجددٌ بالضرورة، يبحثُ بكلِّ ما أُوتي من غضبٍ وحقْدٍ ودكاءٍ أن يفتحَ سماواتٍ أخرى لم تطرق بعد. سماواتٍ لم يُعرَفَ لوُها ولا قماشُها ولا الإبرُ التي سَاهمت في مادبة حياكتها. والتحدِّي الكبير الذي يعيشه الشاعر في كل تجربة

كتابة، تجربة إحساس، تجربة تسلق تلال الغيب، هو التملص من سحر الماضي، ومن الإنتاج الذي كان، لزمن طويل، غذاءً له، وحديقة كريمة الثمار (لا أقصد أي إنتاج).

إن الشاعر المجتهد ليبدو وهو ينظف أنامله من طين الماضي، كالطفل الذي يشق عليه الفطام، بعد أن تناول من ثدي الماضي حليباً سائغاً ارتبط بذاكرته (للم ذاكرة).

التحدي الجليل يكمن في التحلي بالشجاعة الفنية لمواجهة الجمالية الموروثة. قصاصات الجمالية المعلقة كإعلانات باذخة على حائط الكون. يجذ الشاعر نفسه مأخوذاً بالأنفاس السابقة وبالسموات الفسيحة. يُبدع سماءً، فيرتاب في جدواها، لأنها قد تكون تنمة لسماء سابقة في كتابة سابقة. يشيد كهفا لغويا بحجارة نقية، ويرواده الشك في حقيقته وفي حقيقة جدّيته، فقد يكون الطين المستعمل والحجارة المستعملة، مشحونين بأنفاس الأسلاف والآلهة.

فكيف ينجو الشاعر من حصار الكتب القديمة، من متاريس المعاني التي شيدها الأسلاف الأقوياء بسواعد لا تتفسخ أو تنحل؟

أقرأ البحر، وأحس بطحلب قديم في لغتي.

أقرأ السماء كعراف، وتبدو نجمة الأفق كنعل جد قديم.

آه. كيف أصبم سماءً جديدة تخصني وحدي، سماءً ورقها مصنوعٌ من ظلالِي.
من حلمي. من تبشئي. من منديلي القدر. من التراب العالق بأحذيتي القديمة.

وَهَبْ توصَّلتُ إلى سماءٍ جديدة، ما أدراني أنها جديدة حقًا؟ كيف أصلُ إلى
اليقين الثلجي، أنا المرتابُ في كل شيء، المتشككُ الأبدِيُّ في كل ما تنقله المرأة.
كيفَ أصدِّقُ أنَّ ما أراهُ تقاسيمُ جرحي، خبز الأفق على مائدةِ الحلم؟

(تعكسُ المرأةُ اليمينَ يسارًا واليسارَ يمينًا).

أهمسُ حائرا: (تبدو الحيرة كغيمة تلاحقني في الأزقة).

قد تكونُ السماءُ التي صمَّمتُ مجردَ انحرافاتٍ طفيفة عن سماواتٍ قديمة، أو
ربما قواربٌ تُخادعُ نفسها بتنميقِ واجهتها بالبحر والرمل والنوارس. ألا ما أحوجني،
في تجربتي وحيرتي هاته، إلى ارتداءِ نعلِ الغياب ونعلِ التشرّد، حتى أبتعد عميقا
عن خطوات الآخرين. أن أنفصل بقدر مناسب عن الكلام الذي قيل قديما، منذ
خاطب آدم ربه حول الجنة والغفران. أن أنفصل تماما عن السابق وكل ما يخصه
من سماوات وأقمار وأشجار. أن تكون خطوتي الشعرية ملطخة بتراب المستقبل.

لكن كيف يتحقَّق لي الانفصالُ يا ترى؟

لا أظنُّ الانفصال تاما، أو يتحقَّق على نحوٍ مطلق. وحسبَ تجربتي التي تأخذ
بعين الاعتبار قصَّ جناح الفراشة كشلوك جمالي، فالانفلاتُ من الماضي هو

انفلات نسبي بمذاق الرغبة في التخلص من التبعية. إنني أحس في كل كتابة أنجزها بكثافة الصدى، بحجم الصدى من حولي. أحسن كصوتٍ وحيدٍ أمام جيش الصدى.

وقد صرّحتُ لنفسي مرارا: إذا كانَ الأمر هكذا يمثل هذه الصعوبة الواضحة، فلأجعل من رغبة الانفصال لعبة فنية أُخرِجُ منها بأقل الخسائر. لأن قنوعًا في حروبي! إذا حدثَ وغنمتُ فراشة ملونة فقط، فمرحبًا بالهزائم!

ليكن الانفصالُ الفني عن الماضي نوعًا من التآخي المقرون بالعداوة المثمرة: يُلاعبُ الشاعر الآفاق. يُضاجعُ نساء النار. يزرعُ بذرتَه الخاصة في النص، ويدعُها تنمو مقرونة بالحرص والتنقيح الشديدين.

سأخذ مثالين للبرهنة على ما قلت:

مثال أبي العلاء المعري: الأعمى المثير للإعجاب. علّمنا فن الرؤية، فنّ الحزن، فنّ الليل، فنّ الضوء. عاشَ أسيرَ القوالبِ المستعملة في عصره، لكنه استطاع أن يزرعَ فيها لها خاصا، لها مستقى من ثقافته الواسعة وتجربته الغنية. إنني أراه يمضي في المعرفة. عيونه أشبهُ بنجوم مشتعلة. عرّافُ العصر الذي لا يني عن جلدِ مستقبلنا الفني بكرواجه.

المثال الثاني رامبو: النابغة المرعبُ الذي فرَّ من كلِّ الدروس، من كلِّ جماليات عصره. رفضها باحثًا عن غاياتٍ أخرى ليست دون السماء مقامًا. لكن هل كان لرامبو أن يكون لولا إلهام بودلير؟ وهل كان بودلير ليكون لولا بو؟

أكاد أشم رائحة بخور بودلير في دهاليز كتابات رامبو الذي جعل من قصائده حديقة هلوسة. جعل جملة الشعرية تبدو كبروقٍ مباحة.

لم يكن رامبو إلا صنيع بودلير، صنيعًا منفلتا أيضًا، ولا تخوم له إلا اللعنات!

11

أتناول جريدةً متخصصة في الشؤون الثقافية. أطلع. عقلي متحفز كعنكب ينتظر الفريسة. تُرى أية جماليةٍ تخبئها الصفحات العمومية؟ أية وليمة لغويةٍ تستهدف العقول والأرواح؟

أقرأ. أتفحص. أرى العنكب يتململ. ينصبُ خيوطه كفخ رتيب، خيوطا دقيقة لكنها كفيلة بنشر الموت وتعميم زهوره.

عقلي منفتح. متأهب. أقرأ سطورا هشة ترتحف تحت عيوني كصفحة مياه في بركة راكدة. أتساءل محتجًا: ما هذه النصوص التي تقدّم على أنها شعر ولائحة لاتباع الخضراوات أشعرُ منها؟

يكونُ الشاعرُ في حالة اضطراب وتوجس حين يحصل على قصيدة غير مقنعة. قصيدة لا تنال رضاُ الفني، فيسقطُ فريسةً خاطرين:

يتخلصُ منها، ويتخلصُ من العقرب الذي يلدغ لحمَ الطمأنينة. أو يحتفظ بها، ويحتفظ بنقصائها الغريب. وفي كلتا الحالتين: لا يجني الراحة ولا يجد في انتظاره إلا مخددة الخيبة.

ضياغُ قصيدةٍ لم تحقق المأمولَ هو: ضياغُ فرحة جنينية كان يأمل فيها، وأتت القصيدة محيبة لحلمه ولانتظاره الطموح.

أما الاحتفاظُ بها، وإن كان يحققُ مواساةَ ما، فهي مواساةٌ نسبية تشبهُ نصفَ لقمة ونصفَ بسمة ونصفَ موعد. نقصان القصيدة سيلاحقُ الشاعر كالحظ العائر أينما حط الرحال، وكلما فكر في استعمال الأفق كعتبة.

وتجده في حياته، يشعرُ حيالها بحزن وملل ومرض وفضول متشقق كالثمرة النتنة. تجده يفكرُ فيها بقلبٍ واجف هاربٍ، كالمبخرة الفارغة من البخور الطقسي.

الشاعرُ في مختبرِ القصيدة الناقصة كالأم التي تُمنّي بولدٍ مشوّهٍ معاق، فهي ترفضُ الواقع المشوّه، لكنها تحنو، في نفس الوقت، على إعاقة الطفل، وتحاولُ أن تتم نقصانه بالعاطفة. أن تصلح عطب الطبيعة بأمومتها وعطفها.

13

يتشظى بيسوا من أجل معرفة طبيعة أفقه الشعري، من أجل تجميع ذواته في مزهريّة من رماد.

14

المومساتُ في انتظار الزبناء المحتملين كالشعراء العاطلين عن القصيدة!!

15

قليلةٌ هي الكتبُ التي تدفعنا إلى قراءتها مرات ومرات دون أن نشبع من عوالمها، ولا من أفضالها علينا. وكأننا نبحثُ، بإعادة قراءتها، عن مرآةٍ محتبئة وراء المعاني. وكأنّ هذه الكتبُ مزوّدةٌ بيدٍ خفية راقية كوردة في الرأس، كغبارٍ في قمصانِ الوقت. وما زال في وسعها فتح المزيد من الآفاق.

الكتابُ الجيدُ أخٌ من ورق!

16

لا تَمُرُّ مناسبة دون أن يُذَكِّرَ مَنْ حوله أنه (شاعر). مثلاً: قد يحتفلُ بالحجر، ويعتبرُهُ علامةً على وفرة عواطفه، وقد ينظرُ إلى ريشة طائر، ويتعجبُ من دقة اللونِ الباذخ، بل قد يتمادى في أفعاله الاستعراضية كبهلوان، ويستعملُ القمرَ كجرابٍ يَحْبِيُّ فيه إدعاءاته وأكاذيبه.

إنه لا يجد أيَّ عيبٍ في أن يسرق القمر، ويحرِّمَ الأطفالَ منه ليصوغ مجازاً مبتذلاً في قصيدته السيئة، وغايته الأثيرة أن يُذَكِّرَ من حوله أنه (شاعر)!

17

صوته يعودُ محملاً بمفواتِ الربيع.

18

نحنُ، أبناء الصُّداع، شعراء الغثيان، لا نتورعُ عن إنتاج قصيدة ببصاقنا وبدون استحياء. لا نريدُ إعجاباً من أحد. يكفي أن نُحَدِّثَ عطباً في معدة القارئ حتى نحسَّ بالراحة والطمأنينة البالغة.

إنني أتصرفُ حسب حساسيتي نحو الأشياء، مثلاً: قد أحملُ منجلاً لأكتب قصيدة حب. قد أضحكُ في جنازةٍ مستمتعا بدهشة أهل الميت! قد أرقصُ في المقبرة رقصاً جنونياً... وهكذا أشبعُ مقتي الفني، وألبي بوصلة الأذواق المستبعدة المنبوذة، وأتحررُ من جميع الإنتظارات التي يمجِّدُها القارئ.

القصيدة الحقيقية: طبلٌ عنيف لا يني عن تمزيق الآذان. هي لا تحترم من يصغي إليها، ولا تنتظر تشجيعاً يسندها في الزقاق كعكاز.

القصيدة الحقيقية التي أراها تستحق أن أسكب فيها مقتي وحيي وعواصفي هي: القصيدة التي لا تجعل من القارئ مرآة، بل عدوا ينبغي مقاومة سلطته بالمجاز المتعالي وبالرفض المتعالي.

لا تسمعوا!

بهذه النصيحة القحة أواجه كل من يرغب في النوم. كل من يتصورني سأفصلُ اللغة بمقاسه. أنا الخياط الرديء! لا أبرع في تفصيل عباءة لغوية لي، فكيف أعدكم بملابس على المقاس؟

إنني أدخل نفسي وكأن نفسي مطبخ سري لإعداد أفضع الوجبات وأمرها. لا أجد في داخلي إلا ما يمجه الذوق.

كيف لقبو أن يقدم الضوء؟

كيف لسردابٍ عامرٍ بالحث أن يُفرح.

معدتي لا تعد إلا بالغيثان.

لن أخجل إن صدمت أو جرحت إحساساً مروّضاً.

أنا خارج ما يُسمع وضد ما يُقرأ وفوق ما يُكتب.

أنا أنفقت. لا أسبِّح نفسي إلا بالسماء. يدي طويلة تمتدُّ لتحصّد الجمالَ أينما كان. لكنّ الجمالَ، في رأبي، لا يُجوّد أفقًا ولا يُريخ معدة...

الجمال أنا. إمكانياتي الصغيرة. قدراتي البسيطة على تنضيدِ الشيء. على إعادة ترتيبِ الكونِ بقلي.

بيدي.

بعقلي.

بنقصاني الجميل.

بصراخي المعيب.

بي أنا. أنا.

19

يجبُ على الشاعر أن لا يكتفي بقتل أسلافه القدامى، بل أن تمتد يدهُ المجازيةُ السحرية لاغتبالِ أحفاده البعيدين. يجبُ أن لا يتأثرَ بالماضي ولا يترك ميراثًا للمستقبل.

حرُّهُو، حرُّ من أي حكم، بلاغات، أشعار، إعلانات تجارية، شواهد قبور.
حتى وردة أحلامه المستقبلية يجب أن تكون ننتة، ولا تخاطب أنوف القادمين!

20

(الشاعر) الذي لا يرى إلا ظلّه، قد يقع في أحابيلِ ظله كعصفور أو فأر،
لأن هذا الظل نفسه سيصبح عائقا أمام الرؤية السليمة والناضجة. وهكذا بدلا
من أن يكونَ الظلُّ غيمةً جمالية تثري هواءَ الشِّعر، سيكونُ حاجزا يحجبُ الكثير
من الجمال.

أنا لستُ ضدَّ النرجسية الفنية المنتجة التي تجعلُ الشاعر يكتفي بجراحه؛
بقماشٍ جراحه لإنجاز عباءة العزلة. هذا النوع من النرجسية هو بمثابة معابد
وغاباتٍ فرديةٍ تنادينا بأصواتٍ محفزة. وكلنا نسعى، بدون استثناء، إلى أن نكون،
في تمزقنا الوجودي، مجرد ألوم ضلالٍ وضلالٍ. لكنني ضد النرجسية السطحية التي
يكون فيها (الشاعر) مجرد كرنفال صُورٍ فوتوغرافية؛ يعرضها كل وقت، وكل لحظة،
وكل ثانية، حتى يغدو هدفا جليا للأعين الكسولة.

(لا ينبغي للشاعر أن يكون هدفا سهلا وطريدة سهلة، فما نعرفه، نحض
أسياد الصيد، أن الطريدة أشد غموضا من الصياد).

صورة بربطة عنق؛ ينقر رأسك عصفور الفراغ.

صورة بقبعةٍ لا تقي من الشمس، بل تقي من العمق. وسبب ارتدائها ليس سبباً جمالياً. هو تشبهُه بليدٌ بميلان كونديرا لا غير.

صورة أمام تمثالٍ في ساكن لا يملك لغةً للدفاع عن نفسه. تمثالٌ / ضحيةٌ يعوي، والعواء عبارة عن فحيحٍ إسمنتي.

صورة أمام فنجانٍ قهوة، قهوة صباحية. شمسُ الصيف تلحسُ الأطباق!

صورة بشاربٍ كث ومتهدل. وثمة حكمة معلقة على باب التاريخ تقول: تربيةُ الكلاب أهونُ من تربيةِ الشوارب. لكن من ينبه الحمقى إلى أنَّ نيتشه ليس هو الشارب الكثر؟! هو الشارب الكثر؟!!

الكثير الكثير من الصُّور الفوتوغرافية، والقليل القليل من الشعر!

(ماذا تفضلُ أن تكون أيها الشاعر الذي يحمل السماء كصحن صالح للتسول؟)

صورة فوتوغرافية أو صورة شعرية؟

مأزقٌ حقا هو هذا السؤال. عشٌّ يخفي أفعى. عُصفورٌ فقد ألوان ريشه، وفقد وجهته وهو يحدق في السهم).

هذه الصوَرُ لن تخلقَ شاعراً بالمعنى الحقيقي والصلب، مهما حاولَ صاحبُها أن يسهب في البكاء، ويزينَ عيونه بدموع الرمل. مهما تلَوَّن كبهلوانٍ مستثمراً كل قفزاته السمجة أمام الكاميرا. إنها نرجسية واضحة. أجل، نرجسية قد تكون مغرية بالنسبة للعقول الصغيرة، لكنها نرجسية عقيمة كالغبار وكالقمر البارد. نرجسية لا تقدم شيئاً، ولا تتجاوز أبعدَ من الأنف.

ظُلُّكَ هو حديقتك، فالعب كطفل بريء، لكنَّ الظلَّ المبالغ فيه أكبرُ عدوِّ للشمس.

21

أريدُ أن أكتبَ قصيدة لا يكونُ فيها الكلام متأنقاً ومُعطراً، وكأنه على موعد أو في انتظار لقاء قصيدة.

يكون فيها الكلام بدون تجميل أو تشذيب.

قصيدة يكون فيها الكلامُ مُشوّشَ المنظر، وبدقنٍ نابثة.

22

قد أفتنُّ بجنونِ بريتون، وأحلمُ بكتابة قصيدةٍ أوثوماتيكية.

لكنَّ الشعرَ يباغتني برأي آخر:

الهواء يُناوِلني مِحْرَانًا.

احرثُ روحك أَوَّلًا.

23

اللغزُ يتجسّدُ في هوية الدفتر.

هكذا أعلنُ بياني في الكون. الدفترُ المنسيُّ المتروكُ للريح. الدفترُ الذي تكتبُ فيه السماءُ لهاثها. الدفترُ الذي نسيتهُ في العزلة كما تُنسى الصلاة في تطلعات الفقير. تركتهُ فوق مقعدٍ خارج غاباتِ الروح، فأنتُ الروحُ وَعَوْتُ وكأُنها فقدت قماشاً سرّيّاً من ثوبها الطويل.

التمزق والاعتراب يكون فظيعة عندما يصبحُ الدفترُ أحام لم تلده أمك. عندما يصبحُ الدفترُ عتبة لعالم آخر. عندما يجعلك الدفترُ منقسماً إلى شفةٍ وسماء.

منقسماً إلى جرحين.

إلى حزينين.

إلى حياتين.

الدفترُ ظلّي الآخر، شجرتي المثالية التي أفيء إليها.

أذكر الأيام البعيدة. كنت أتأبطه كما أتأبطُ برقًا حتى سُمِّيتُ بـ«تأبَّطَ دفترًا». كنت أمشي في الحديقة الخريفية، أبحثُ عن معبد ملائم لصلاة سرية. (أنا لا أحترفُ إلا الصلوات السرية. لا أعلن الظهور. أكتفي بالاختفاء والنسيان. أنزوي كمنذاق مرفوض).

كان الدفترُ خيطا فنيا يصلني بالواقع ويفصلني عنه، كالبرزخ، كمنطقة الأعراف بين الجنة والنار. كان جسرا يصلني بالضوء والظلمة. كان مليئا بالمغامرات المدهشة التي تصلُّ حد الجنون، مثلا: أكتبُ رسالة لامرأة مهووسة بالغيوم، وأخبئها في دفترتي دون أن أطمح إلى تواصل بلون الخوخ. أختبئ تحت الحبر وأترك ظلي يواصلُ وجودي في الأزقة.

كان الدفتر يتيحُ لي الصلاة حسب إرادتي، وبمقاسٍ روحي. أذكرُ أي كتبت فيه (صليتُ فيه) ذاتَ صبيحةٍ معفرة:

جسورُ في الصلاة، وجبانُ في الواقع.

لا تتجاوز شفاهي عتبة القبلة المسروقة.

فهل الصلاة ترممُ الواقع؟

هل كلماتُ دفترٍ مشبعٍ بالانطواء تعيِّرُ العالم؟

..

هذا الدفترُ الضئيلُ المعروف بضآلته في أبجدياتِ المادة، لم يعد له وجود، فاندثرتِ الفاعلية بانذاره، واندثرتِ رائحة الفرح. لم أعد أتوفر على الدفتر /خرقة السماء: هذه الفسحة الهزيلة المريضة. الفسحة المتجشئة. الفسحة المسروقة. مرت السنواتُ سريعا (كانت السنوات برقا أو أظلافَ شاةٍ)، فأصبحَ الدفتر في حكم الغياب اللا مفسر. صلوات الطفل اختلست منه فجأة وفي ظروف غامضة. لقد نسيْتُ الدفتر أو تركته في مكانٍ مجهول، حتى ينضج سره، ويغدو مزهريه مكرسة للنسيان.

دفترُ تركتهُ أيادي الرّحيلِ

على طاوِلَه.

دفترُ ليس تُدرى مغالِقُه،

فهو يبدو خفيفا يعجُّ بزرقتهِ

وانكساراتهِ

والخطى الراحلة.

دفتراً للصباح

دفتراً للمساء،

دفتراً للوردة الذابلة

رُبما كانَ دفتراً شعراً ضجَّ بالأغنيات

ربما كانَ صاحِبُه

يخزِنُ السرَّ في جوفه،

وبدورَ الحياة.

ربما كانَ شاعره يتشرَّد في غيمة،

والسَّماءُ انحنَتْ مائلة.

أحيانا أصابُ بالصَّم، ليس لأني أصمُّ، لكن بسبب حاجة داخلية يفرضها عليَّ شريكِي في الحديث. هكذا أسيِّجُ نفسي بوقاءٍ يصدُّ نثر المتكلمين، وغباء المتحدلقين، وأصنع لنفسي سريرا أصما أستريحُ فيه من ضوضاء الآخر. أصبح قصيدة غامضة تصد أسئلة القراء، وتتصرفُ بقسوة ضد القارئ.

المجازُ وقاءٌ جميلٌ يرتديه الشاعر كي ينعم براحة داخلية. راحة بيضاء لا يشوبها معكر.

لن نكفَّ عن إنتاج الأشياء الرديئة، ليس لأنَّ الرداءة تستهويننا أو تخلبُ عَواطِفنا المتعالية، لكن لأنها ضرورية للعثور على الجوهرة النادرة، وضرورية للعثور على السماء التي تليق بخيالاتنا ومرارة أحلامنا.

لقد أشار نيتشه إلى ذلك عندما رأى في الفنانين العظام آلهَ لإنتاج كميات غير قليلة من الأعمال الرديئة. لأن الأفكار المذهلة لا يمكن أن تتوالى هكذا سريعة، وبمجانبة سمجة.

لسنا بمعزلٍ عن لسعاتِ الوقت المتكررة، ولسنا بمُحصَّنين ضد الضجر الكوني. لسنا كذلك، وت. س. إليوت يقاسمنا نفسَ السماء ونفس الوليمة

المتعبّة، حين قال: إننا كثيرا ما نفشل ونادرا ما ننجح، وإنَّ الحظ، هذا الشيطان الجميل، لا يكون موقِّفا لخطانا دائما.

فلتكن الرداءةُ إداً تمارينَ صحية تساعدنا على تنظيف المعدة والأنفاس المتعبّة.

ثم إنه لإنتاج حديقة لا بد من تَبذير العديدِ مِنَ الشجرات!

26

الواقِعُ باب، والحَيالُ نافذة.

27

القصيدةُ منزلةٌ بطبيعتها. ترفضُ أن تقبَع كسمكة ميتة في شباكِ الصياد. إنها منفلّته، ومتى أعلن الشاعر انتهاءه من صياغتها، تخرق الإعلان، وتعلن تمردّها على سلطة كاتبها من خلالِ الكشف عن ممراتٍ جديدة ومتاهات جديدة.

هناك من الشعراء من يُبقي عمله مفتوحًا، ولا يوصدُ إلا بمماته. زهرة غيرُ تامة العطر، أو قبرٌ مفتوح دائما يتطلع إلى إضافات أخرى. مشاريع جمالية مؤجلة.

لن أتردّد في القول: إنّ نصّوصي كلّها غير مكتملة حتى وان تم نشرها، وتقديمها كطبّق إلى القارئ. إنّ موائدي مندورة للفوضى. أعود إلى نصّوصي الشعرية، فتساورني حمّى التطلع والدهشة والتغيير. أبحث أن أعيدها تنقيحاً

وتصحيحها وحذفاً ومعالجة. أبحثُ أن أصقلَ آفاقهاً بالمزيد من التحري. البحث.
الطموح المبارك. ولا يطيبُ لي الخاطرُ إلا حين أفقُ عند مآتم الكلمة وعُرسها،
وأغني:

عريسٌ أنا، وأرملٌ في نفس الوقت.

من يملكُ رُوحاً متشظية سيفهمني.

من يملكُ يداً تتحرشُ بالجهول سيفهمني.

من يملكُ سماءً لا تحابي الأنبياء سيفهمني.

من يملكُ حزناً شريداً ككلبٍ غير مدربٍ سيفهمني.

من ينمق ظله كقرية مؤجلة سيفهمني.

القصيدة لا تنتهي إلا برحيل صاحبها. يتركها في درج الزمن، تفتتحُ مؤبسةً
لسماواتٍ أخرى. تبعث رسائلَ للقادمين من رحم المستقبل، حاملين رايات الهواء.

القصيدة لا ترسو. تتمطط بتمطط تجربة الشاعر.

بتمطط رأسه،

خياله،

ساعده،

أمعائه،

صوته.

تتمطط بتمططِ سمائه..

من الشعراء من تجبره اللحظة الكسيرة على أن ينهي القصيدة بمعالجة سريعة وحركة بهلوانية ضجرة. يخرج من المعركة داميا. ينظر من حوله زائع الرؤى تتلقفه الأيدي المجهولة، فيبحث عن قيلولة حتى ولو كانت جافة. تجده يبحث عن كلمات سريعة تجري في الحلق راقصة، فيتتم جروحه وهو يدري أنه لا يُتم، وينهي وهو يدري أنه لاشيء انتهى.

الباب يبدو مُغلَقًا ولكن هذا الباب، الباب الموصل. هذا القناع هو أقرب الوجوه إلى الحقيقة!

28

لست تاما. إنني أتمو وأكمل نفسي بنفسي. وشعريا: أنا طفلٌ خديج أحتاج إلى حاضنة لغوية!

متأنة لغتي تعودُ إلى هشاشة روحي.

الروح النادية كاتبَةٌ جيدة.

لا تجدُ من ينقحُ أحلامك ويصوّبُ نيرانك بحب. السماوات كلها كالحلة. شبكةٌ صيدٍ لم تعثر في صباحاتها المبللة على فراشةٍ واحدة. حتى الابتسامة الودود نضبت سريعاً في الملامح، وأصبح الأفق الشعري عبارة عن خيمة منزوية لا تحظى بالاهتمام اللائق.

البؤسُ هو الواقع بدون زيادة أو نقصان. حتى إقامتك السريعة والمختصرة في المكان لا تجدُ ترحيباً من أي كان. الجمهورُ مُقطَّعُ الأيدي فكيفَ تنتظرُ التصفيق؟ أما من يعتبرون أنفسهم كهنةَ الشعر وما هم في الحقيقة بكهنة. الذين يتسامقون كالنخيل الاصطناعي ويصوِّتون كالعصافير القبيحة، فهم أبعدُ ما يكونون عن سماوات الشعر.

لا أحدَ منهم يقيمُ في اللهب ويقول لك ممتنا:

- لقد أحدثتَ في الشعر رعشةً جديدة!

لا تجد أمام عيونك إلا الإسمنت المزيف. الغابات المشوهة التي لا أفق لها. لا تجد إلا من يربض في الواجهة كتمثال بلاستيكي بعتبة بوتيك. من حالفته صدفه بذئبة، ويعمل طول الوقت على دفن القادمين الجدد.

لا تجد إلا البعيدين عن النار. الملاعين الذين لم يتذوقوا فواكه البرق. ماسحي أحذية الزمن ولاعقي أقدام الغبار.

31

القصيدة لا تتم في حياة الشاعر.

هناك دائماً فرصة حائرة مرتعشة لإضافة زهرة جديدة إلى المزهرية.

32

قصيدةٌ ذكية تشاغب طموحي. قصيدةٌ مشاغبة تشاكس كل شيء. تشاكس الماضي والحاضر، وتثب إلى المستقبل تستجوئهُ من خلال استعارةٍ أو تشبيهٍ ضامر. قصيدةٌ ذكية تساعد الثقافات الجافة على الاختفاء. تحب تطلعات القراء. قصيدة خسيصة مشبعة بالندالة وفي هذا إمكانياتها الفريدة: أن تنقلك إلى البحر بكلمة، وتجعلك تتبلل برذاذ المطر بكلمة. أن تجعلك تقف في حضرة عطر. أن تتلقى الحكمة وكأنها نسمة ريح.

قصيدة مرنة كالصمت، مشرعةٌ للتأويل هو كل ما نطمح إليه. نحن التعبونُ
جدا من الكلام، من القباحات اليومية، من الزيف. الموت المتنقل في ثلاجة الموتى.
إننا تعبون جدًّا من هذا التراكم الكوني للثرثرة، ولا نفك نتساءل بذهول:

هل انتصرت الثرثرة على الشعر؟

في كل لحظة نرتطم بالكلام، وكأنّ الكون عربيّةٌ أصوات، عرباتُ جثث. لا
كلمة تفتح نافذة. كلمات مغلقة. حوار رتيب ينبعث من حلق ثور.

كيف سنتصرفُ في هذا الجو المفعم بالتفاهة؟ نحنُ نملكُ رغبة لا تُكسرُ في
التجاوز لتأليف قصيدة فذة لا يتكرر عبيرها، ولا لهبها. رغبة تنبت كرحيق في
ثوب زهرة صبيّية. رغبة منقوعة في الحبر الأزرق الذي ينتقل بين الصفحات، ويدس
الحكمة كما يُدسُّ السر في سمع الجدار. لكن هذه الرغبة لا تجد الوجود رحبًا بما
يكفي حتى تتحقق. هي رغبة نهمّة لا تجد الوجودَ مسعفا يوفّر كلَّ شيء. واليدُ
الشعرية غيرُ مزودة بقوة هائلة كي تخط وفق ما تمليه شفاه الوجود. اليدُ عاجزة لا
تحركها الروح، والوردةُ التي تدنو من إهاب شروندا غيرُ محفزةٍ تماما.

أريد أن أحظى بقصيدة تكونُ قلبا لكل شيء. تنبجسُ من روحي، تتناولُ
الأشياء وتكون فارغةً من الأشياء. يبدو الهدف صعبا كقمرٍ فوق بحيرة خضراوات،
وكفراشة تبحث عن رسام محترف يرسمها بجفونه! يبدو صعبا لأنه يتقلنا بالواجبات
الشعرية والروحية مثل: أن أتمرّن يوميا على الحزن والفرح، والأفق والحجر والحقل.

أن أتطهرَ وفقَ نظام صارمٍ قاسٍ كراهبٍ ينظفُ نفسه من شوائب الوجود، يتحد بالعزلة ويقذف فيها جنونه، فتنجُبُ له الحكمة، بعيدا عن ضجيج الكون، بعيدا عن هلوساتِ البشر.

والهدفُ يبدو صعبًا أيضا، لأننا في تواصلٍ مستمرٍ مع البشر. مُعاشرة البشر كفيلة بأن تلوث السمع وتنجسَ الفهم. معاشرتهم طمسٌ للنقاء الداخلي وعبثٌ به. والعزلة هي الحل. هي بمثابة العودة إلى البداية النقية. العزلة صحية إن تم الوعي بأهدافها. هي أشبهُ برحم الأنثى الذي يجهزُ الجنين. مرحلة تساعدنا على الولادة الواعية والولادة الإرادية.

أيتها القصيدة الخسيصة!

القصيدة المتمردة الطاغية

ما أحوجني إلى التسلح بحكمة الجدار!

الوقوف كالجدار في وجه التفاهات.

الإيمان بالعزلة كمرحلة تسبقُ الولادة العظيمة.

جميعُ الكتبِ العظيمة وُلدتْ في العزلة، وتمَّ إنضاجُ حروفها ومعانيها بمرارة

العزلة وعناية العزلة.

والعزلة لا تتم هكذا فجأة. إنها بناء. صبر. الروح المتمردة والإرادة المتوثبة
تسرّع في البناء حجراً، حجراً. خطوات مرتبة كتلك التي نُحطّوها في طريقنا الصعب
إلى الحديقة الواعدة. لذا ينبغي التمهّل. الصبر. النظر العميق. التأهب... .

وفي انتظار الحلم.

في انتظار أن تهبّ الروح من نومها كفلاح نشيط في الصبيحة.

في انتظار أن تصرخ.

في انتظار العزلة وثمارها،

لا يسعنا إلا الحلم بالقصيدة المرنة الرياضية المكتفية بذاتها، والناقصة في نفس
الوقت. لأنّ النقصان أفق والكمال فخ. قصيدة تحمل الشمس للبردان، وتحمل العافية للمريض المهترئ. قصيدة
نقرؤها لنشعرَ بوجودِ النهوض. أنْ نُهَجِّرَ الدعة، أنْ ننظرَ بصبرٍ إلى الأفق، إلى
الشمس.

33

ننظر إلى أيّ شعيرٍ لا يعبُدُ بالفراغ نظرةً ازدرأً وتحقير. نمجّه لاعنين، ونحزّ
جلده بإبرِ الاتهام والشك والإبعاد.

نحن الضيوف على موائد الفراغ، مجانين الورد والغيمة والسنونو الذي يكفي
بأسمال زرقاء لاستقبال أعياد الربيع. هذا وجهنا وقناعنا في نفس الوقت. نحن ضد
الشعر المكرس للأفق الواحد،

واللون الواحد،

والتربة الواحدة!

شعر الوضوح المطمئن. الشعر الذي لا يقسو علينا في معانيه، ولا يتركنا
غرباء الروح حائرين مشردين في دروب اللغة.

نحن ضد هذا الشعر. نحن، أتباع الفراغ، لا نكرس حياتنا لإله ممتلي، بل
نبحث عن معبد فارغ مثلنا ومثل ذواتنا ومثل كلامنا. فالفراغ مزية شعرية لا
يشكك فيها شاعرٌ حق، والفراغات هي محصلة بحث مُضنٍ. الفراغات أشبه
بالحدائق التي تسمح للقارئ أن يأخذ نفسه، ويبسط طيارة ورقية في الفضاء
مستمتعا بنشوة غريبة.

الشعرُ الفارغ يُشبه ما سمّاه مالارمي بالشعر الصامت أو الخالص الذي يقول
كلّ شيء، ولا يقول أيّ شيء. منذورٌ هو للاستيهامات. للظلال. للرايات التي
ترتفع متحررة من كل شيء.

(الراية بنت السماء وعدوة الطين).

نحن ضد ذلك الشعر المألوف الذي يُسمى جهلاب (الشِّعر). متوفر أينما وليت وجهك يدّعي قائله البلاغة، الكمال اللغوي، الزخرف اللفظي. وقد يخدع هذا النوع مما يُسمّى شعراً القارئ السطحي، لكن لن يخدع عربة الزرقة وذهب الوقت وحكيم الطرقات. لن يخدع الكهف الذي يميز بين الصدى والصدى، ويميز بين الوردة وظلها في ذاكرة القش.

نحن ضد هذا الشعر التجاري الشبيه بتمثال بلا روح. التمثال الزائف الخالي من الظلال. نحن ضد هذا الشعر الذي ليس سوى كلمات معروضة في دكاكين الفشل، وليس سوى تسويق رديء للفن. تسويق لقبلة زائفة تعرضها المومس في رصيف الأحيلة.

34

يعتريني إحساس الانسحاب؛ أن انسحب من كلامي وأتبرأ منه، كما يتبرأ المجرم من قفاز الجريمة، وأنسحب من صمتي حتى أجد مسافة كافية تفصل بيني وبين لزوجته الطاغية (قد يكون الصمت مادة لزجة تعلق بثيابنا كما تعلق الصباغة والدماء).

تعتريني مثل هذه الحالات البيضاء. أن لا أقطن شيئاً. أن لا أجعل من اللغة مسكناً أو بيتاً (اللغة ليست مسكناً دائماً، كما يدّعي هايدجر) ولا من الصمت

سريرا. أن أعيش في اللا شيء، فربما هو أبلغ وأليقُ بحالتي البيضاء. أن أصبح
حيادياً، ملتزماً التزاماً عميقاً بغياي، كما يلتزم الجندي ببندقته في المعركة.

(الغيابُ مُنتجٌ أحيانا كالحقل في حالة راحة).

أن أكون لا في الشعر ولا في النثر. لا في الجنة ولا في النار. أن أربك
حسابَ السماوات ولا أعطي فرصة للملائكة أن تكافني ولا أن تؤنبي.

أن أكون: لا ناثراً ولا شاعراً ولا صامتا. أختارُ لي منطقة خصوصية لا
تسمى؛ بين النثر والشعر؛ منطقة سرية كمخابئ اللصوص وتجار المخدرات (الشعرُ
والنثرُ مخدرات قويان) والقتلة الهاربين من العدالة. أن أستمتع بإحساس الطريدِ
المطارِدِ الذي لا تصل إليه الأيدي، ولا الأعين، ولا تقتنصه البيانات والبلاغات.

بعيدا عن النعت والتوصيف. بعيدا عن الاختزال. بعيدا عن الوطن ومنفلتا
من المنفى. بعيدا عن كل شيء ومقتربا من لا شيء.

هكذا: حرّاً حراً إلى درجة أن الإحساس بحريتي هو سجن جديد!

ملحوظة: السكرانُ لا يناقشُ النبيذ والحر لا يغني عن الحرية.

لا يجبُ الشاعرُ أن يعترفَ بشاعرٍ يعاصره، فهما يقتاتان من نفس الأفق،
ومن نفس الاهتمامات، ومن نفس جثث النجوم.

إنها نوعٌ من النرجسية التي تلازم الشاعر في خطاه اليومية وهو يسابق
الإنجازات المفترضة. نفي لذيدٍ وعنيفٍ للآخر الذي ربما يهددنا ويهددُ «أنا»
الباحثة عن عش دلالي وعن أفقٍ فردي متميز.

بالمقابل، لا يرى الشاعرُ بأساً من الاعتراف بشاعرٍ قديم. لأنه لا يشكل
تهديداً. إنه سلف لغوي لا غير. سلف ميت مُسلم كقبر. رائحة لغته لن تطال
سوى الماضي، ولن تخدش سوى جلد الأمس.

لستُ متيقناً من حياتي، ولكنني متيقن من قبري!

فهل القبرُ حقيقةٌ والحياة مجاز؟ ألهذا يتعلقُ الشاعر بالمجازات حد العشق؟
يتعلق بأهدابها، تعلقُ المشرف على الغرق بالطوق؟ هل ميل الشاعر للمجازات
هو تعبير مضمّر وخفي عن شغفه القوي بالحياة؟

ألم يجد الشاعرُ طريقةً يحب بها الحياة سوى اللغة؟

حقيقة اللغة هي المجاز، وغير ذلك مجرد براز يعلق بأعشاش الطيور.

37

لفاليري القدرة على تلقين معرفة وقادة: يتجول بسهمه، وبصيب الحقيقة
الشعرية كطريدة يائسة، فيقول:

النثرُ مشي والشعرُ رقص!

النثر يتجه إلى هدفه دون تلكؤ، والقصيدة تستعين برشاققتها لتؤدي رقصها
الباذخ أمام الأعين المفتونة. حركة الشعر حركة راقصة لا تملك هدفاً غير أن تفتح
نافذة سرية تغوي الأرواح. لا هدف للشعر غير المتعة، ومن يربطه بهدف آخر
يقتله. الشعر ضد الهدف والمراد. الشعر غيداء خجول لا تعرض مفاتها أمام
جمهور عريض، بل تتسلل بجيئة وتختار جمهورها الخاص: قلة القلة. غرباء اللغة
والصمت.

هكذا يعلمنا فاليري الفرق الحق بين الشعر والنثر. النثر يمشي. الشعر يرقص،
ويترك شجرة فاسقة عند كل خطوة!

ومن فاليري، من عشبة تعريفه الجميل، نستمد ألقنا، ولهبنا الخاص، ونقول

مثله:

النثر يوحى بقساوة الجدار. جدية زائدة على اللزوم تنهك الأنفاس. يبدو العالم، من خلال النثر، منظماً تنظيماً صارماً، لا يدع الروح تشبع نهمها الخاص بطريقتها الخاصة. النثر كتابة قاسية لا تتحقق إلا على تلة قاسية، وتحت سماء قاسية، ويبد قاسية أشبه بفأس أو منجل.

لكنَّ الشعرَ يخلُّ مرَّاً جوانياً. ينهلُ من الكسل الوجودي. من بدايات السكون المقدس. عندما أكتبُ الشَّعرَ، أشعرُ وكأنني أعانق نافذة كسول. أغرق في الدعة. أصوغ تمثالاً لي وأعبده بحمول. أبتكر صلاة خاملة تصادق السماء. الجِدُّ نثر.

الكسلُ قصيدة.

38

الشاعرُ لا يظهر.

يرتدي الغموضَ حتى لا يُتَّهمَ بالفرح!

تجدُ العزاءَ في حكاياتِ الزن لما تملكهُ من قدراتٍ مدهشة على توظيف اللغة وترتيب المعاني. فتاةٌ (سيدةُ الألفاظ) تجمعُ الأزهار في أيلول، وتوزعها على الغرباء باعثة الراحة والسكينة.

ورغم أنَّ حكاية الزن متراصة الكلمات، منظمة النبرات إلا أنها قادرة على أخذ دهشة الشعر وسحره وفوضاه، قادرة أن تقدم لنا السرد بنكهة فريدة. حتى أني كثيرا ما أستعيضُ عن قراءة الأشعار المتوفرة، بمطالعة حكاية من حكايات الزن، فلا أحس تغيرا في مذاق فمي.

حكاية الزن = قصيدة وافرة الفواكه!

المجازُ حَدِيق، والصورة لُغوب تفتن الروح والعاطفة.

من أين للزن هذه اللغة الغريبة الفاتنة التي تفوق لغة الكثير من النصوص التي تقدّم على أنها شعر؟ حكاية الزن قادرة على عجن الكلام العادي وتشكيل وردة، بل وإحياء هذه الوردة بدواخلنا. فمن أين لها هذا العبق الثري حيث الكلمة مجلوبة من أجنحة الروح؟

حيث الكلمة تحية صباحية؟

من أين لها هذه القوة الشعرية التي تنهمرُ كشلال في أسمعنا؟ ألا يمكن القول: إنَّ حكاياتِ الزن كشفت ضحالة عدد كبير من القصائد الشعرية الصاخبة التي تملأ الفضاء؟ فضحت أشباه الشعراء الذين لا يشعرون ولا يكتبون إلا من خلال استعمال عكاكيز الانتفاخ والتبرج النرجسي؟

انظروا إلى هذه الفسحة اللطيفة التي توفرها حكاية الزن، حيث الكلام يقل، والنوافذ تتسع، والأفق نفسه يجبو كطفل، والفراشة أشبه بعاملية رشيقة توزع الألوان. كيف تتحقق هذه البهجة؟ ومن أين يأتي هذا الحبور الملائكي الذي يلعب التطييل والأبواق؟

حكاية الزن تحدد ونعمة أيضا. تحدد لمن يملؤون ساحاتنا بالترانيم المملة، ونعمة لأنها تكشف الكلام كهبة إلهية بتعبير هولدرن. طبق سماوي يبدأ بكلمات وينتهي بظلال. وكأن الحكاية تقول: لا يكون الكلام كلاما إذا لم يترك خلفه حفنة من الظلال. قوس قزح ينبثُ عقبَ تعليم مطري!

هاكم مثلا لا يختلفُ حول أناقته عصفوران ربيعان!

يأتي الأستاذ الأمريكي ثملا بتصوراته، علومه، مرجعياته. يرغب في معرفة جديدة غير مسبوق إليها. يرى في الصين وجهته الثرية المطلوبة، حيث الحكمة كتاب مفتوح للعيون الجديدة والأرواح الطموحة. يحط رحاله عند معلم بوذي يقطن في كوخ بسيط.

السماءُ صفحة مبتورة من كتاب.

الأفقُ بساطٌ تحت قدمي المعلم.

المعلم يرحّب. بيتسم ابتسامة وضاءة. لا فرق بين الوردة وتويجها. بحذقٍ يستعملُ الملعقة لتذوق الأفق.

تكاذُ الابتسامة تستغرقُ كاملَ وجهه. في عينيه عمقُ بحيرة، ولعله قد حدسَ ما يطلبه زائرُه الأمريكي الجامعي.

لعله حدسَ ما ينوء به من أثقال المعرفة، لكن لا يكشف له ذلك. فقط بيتسم مرحبا.

بسيط بساطة كوخه. يجهزُ الشاي. يتناول الإبريق ليسكب له كأسا. يسكبُ الشاي ولا يكف عن حركته حتى يطفح الكأس.

الأمريكي ينتبهُ إلى الحركة الخاطئة التي اقترفها المعلم، فينبهه قائلا:

حسبُك! لقد طفح الكأس!

تلمع عينا المعلم. يُبدي فرحا وحبورا وكأنه اصطادَ ظبيَ الحكمة. يهتف:

أرأيت؟

أنت مُملئ مثل الكأس بمعارفك السابقة، تصوراتك، اعتقاداتك. ويستحيل
أن أعطيك معرفة ما لم تفرغ نفسك من التصورات.

أنت مثل الكأس الممتلئة.

ما هكذا تُنتج الحديقة!

أليس الأمر أشبه بقصيدة نقية؟ الحكمة تنط من الكأس. الشاي تلقين راقٍ.
هكذا هو الزن يطفح بالشعر. يقدم لنا باقة الورود بمجرد ما نُنهى الحكاية.
والقصيدة الحقيقية ينبغي أن تكون هكذا:

طريقاً في نهايته تنتظرُ الوردة.

40

عندما أكتب أخون صمتي، وعندما أصمت أخون صوتي.

وأنا، في كلتا الحالتين، ذلك الخائن الوفي!

41

منذ ظهر تريستان تزارا في سماء الشعر، وشعلته تزود الكتابة بالحرية الضرورية.
بيان الدادية، والإنجازات السريالية التالية ليست سوى بقايا ثمار، زرعها كف هذا
الشاعر الذي بشر بكتابة جديدة لا تحترم سماءً ولا أفقا. كتابة تمتح من الفضيحة

والجرأة. الكتابة التي تطفئ الضوء على خشبة المسرح، وتترك الجمهور ينعم بالظلام الدامس.

الكتابة التي تنتصر للمبدع كذات خالقة.

تخيّل اللغة.

تعالجها.

تتحرش بها.

تضاجعها دون أن تلقي بالا إلى القوانين والأعراف اللغوية.

وكان المبدع هو البداية الحقيقية للأشياء، وما سواه هراء !

وليس النصّ الذي دوّنهُ تزارا حول قصيدة الكيس سوى ترجمة بليغة للحرية المتاحة، والتي لا تحدّها نشاطات النقاد ولا آراؤهم. وقد سميتها بقصيدة الكيس، لأن تزارا تحدث عن طريقة انجاز القصيدة الدادية، انطلاقاً من قص كلمات مقال مهمّل ووضعها في كيس، ثم سحب القصاصات الصغيرة جداً بيد الفوضى، وترتيبها بأريحية الفوضى.

هذه هي الطريقة الوحيدة والوصفة الصحيحة لإنتاج قصيدة تشبّهنا.

أجل، الوحش الذي نخرجه من الكيس سيثبه العيونُ الغائرة. التطلعاتِ القلقة. الطموح الشاحب. المرونة المرتبكة. سيثبه تجؤلاتنا المتعبة في الطرق المفرغة من الهدف.

ليسَ ظهورُ تزارا في سمائنا إلا استعادة للحرية الملتصقة بالإنسان في مجال الكتابة. فالكتابة ترجمة مباشرة لأرواحنا، وهي عيوننا التي تبحث عن مشهد يليقُ بها. وما حديثي عن هذا الشاعر إلا من صميم البحث عن الحرية الفاتنة والإزعاج الفني. أبحثُ عن بقايا الرجل في أرواحنا بشمسٍ جديدة وخطى جديدة. الخطى التي لا تتخلى عن الحرية بل تمعن في إثرائها، في تزويدها بشمسٍ أخرى تجري في نفس الفلك أو تمعن في الخروج عنه. فما الذي يبقى بعدَ تزارا؟ بعدَ بروتون وبعدَ أبولينير؟ ما الذي يحمله الأفق غير ذواتنا الجريحة الباحثة عن ضماد أبدي؟ ما الذي يبقى غير الحرية؟

قنديلنا الذي لا يكف عن المغامرة.

42

أحرمُ اللغة. أتعبُها بالتواءات. أضيقُ فينعكس الضيق في المفردة، وأتوعكُ فأسمعُ سعالا في الجملة. أتعبُ المجاز بعبثتي. أصفُ قطا مهملا يستحم بشمس قدرة. أحفُ نفسي بالأكياس اللغوية، أكياس «دادا»، وأختار المفردات كيفما اتفق. ألقى بنفسي في قدر الفوضى، وأطبخ ظلي كوليمة بغير ضيوف!

أخطط للقصيدة كما يخطط القائد في الحروب، وأمزج تقنياتي بالجنون.
أتناقض. أصادق الملاك الذي يعاني من وعكة صحية. أخلق سياقاتٍ متناقضة
لسياق واحد. أملأ المفردات بمعانيها، والمعاني الملتصقة بها. أجلدُ وركبي الجملة
البيضاء. أنتشي من عنفي اللغوي.

أكتب.

أخطط.

أكتب.

أخطط.

43

أولدُ ولادة قيصرية في كل مرة. أتواجهُ كقصيدةٍ غير مكتملة أو حتى
مضبوطة. الحلمُ أمامنا وليس وراءنا. أن يكتبَ الشاعر قصيدة تامة يعني: لم يعد
في وسعه الحلم. لم يعد في وسعه الجلوس على أريكة مجازية. ولا أظنُّ الشاعرَ الحقَّ
سيقبلُ بهذا الوضع، هو الذي اعتاد على مناماتٍ يجرسُها شيطانُ النقصان!

لم أستسلم لرغبة البكاء قط. الدموعُ قد تزاخمني وتتوسّلُ مني تحريرها إلا أنني،
وبدافع من كبرياء غريب، لا أسمحُ لنفسي بمعاينة هذا العار الثري. كانت دموعي
تتحول، مع الوقت، إلى قصائد مائية؛ ثم تتجمعُ في ديوان!

من الشاعر نتعلمُ عادة البكاء الارستقراطي!

عندما تصبحُ القصيدة أداة للوجود، تغدو الكتابة طريقتنا الوحيدة نحو ذاتنا
ونحو حماية مرآتنا. وفي وجودٍ أقل ما يقالُ عنه: حربٌ بين الأفعنة وبين الوجوه.
حربُ التفاهات المتكررة. ستكون القصيدة المتراس الذي أحتمي به من الطلقات.

قررتُ أن أكونُ شاعرا!

يتجلى الغيبُ ككتابٍ مدرسي مَفْتُوح. القدرُ لا يملكُ فسحة للتخمين،
للتراجع، للتمرين.. سأكونُ شاعرا. هكذا قررت، أنا الحداد الشرس الذي يستعينُ
بالمطرقة في كل خطوة، لصياغة لحظاته، أحلامه، خططه (حتى طريقة المشي في
الشارع تخضع لمقاس المطرقة. المشي: إمضاء الجسد، وليس مجرد خطواتٍ فوق
التراب).

النظرة الشعرية تأخذ بعين الاعتبار الأفق المقبل، والوردة التي تختبئ في جوف العطر.

(كان نيتشه يلقب بفيلسوف المطرقة. أما أنا فلن أكون سوى شاعر المطرقة).

حواسي تستيقظ. تشكو من كسلٍ نسي يلاحقها، بيد أن مطرقة العقل تعالج كل شيء. كل شيء سيخضع لنوازعي. أقفُ أصارعُ قوى الطبيعة، أعزل إلا من نفسي. حواسي يعتريها السعال الشعري. أقفُ عاريا من كل شيء إلا من روحي. المختبر الروحي ضروريٌّ لخلط المعاني وعجنها، والبحث عن صيغة أو قالب. عقلي هو المعلم. أما روحي فتتعلم، وتحالف مشاغبةً كل الطرق والوصايا الشعرية.

يسيل عقلي إشاراتٍ، فأنقذُ بقلبي وروحي وجسدي.

موزع أنا ومقسّمٌ بشكلٍ عنيفٍ يُدهشُ السماءَ نفسها.

أعيش انقسامي بفرح. تفدُ القصيدة، وتعجبُ لكثرة المستقبلين على العتبة:

أنا/ عقلي / روحي / قلبي / جسدي..

تعملُ أعضائي مجتمعة متحدة بدون استثناء لتجهيز القصيدة. لا أضع اللفظة إلا بعد أن آخذ مقاسها، وأتذوق كينونتها كحساءٍ مسائي. يعجبني دور الصانع والمصنوع. أنتقلُ بين أدوارٍ مختلفة لا أعرف حتى من حدّدها أو كتبها: أنا تحدثُ

أناي. يتمزق عقلي، يتبعثر قبل أن يقرر. وفي الأخير تخرج القصيدة بعد أن نالت
اهتماما فائقا، كاهتمام الأطباء بالمريض.

أنا المريض، والطبيب، والمشفى.

هل أعالج نفسي أم أزودها بالسُّعال الشعري؟! أحيانا أتساءل ولا أهتم. أنعم
بالمريض الكوني. أفرح بعلي التي لا شفاء منها. حقا إني مريض، مريضٌ يحسده
الأصحاء!

47

أكره هؤلاء الشعراء (والشعراء هنا بين قوسين احترازا واحتراسا وتقشفا في
توزيع الأسماء والنعوت = توزيع الأسماء من اختصاص الريح) الذين لا يمر وقت
دون أن يكشفوا للعالم عن هويتهم = شعراء من سلاله الضوء والنهر والأعشاب.
يشعرون شعورا يزيد عن اللزوم بأهميتهم الأسطورية، شعورا أشبه بالسمنة التي تعيق
حركتهم وسخافتهم.

أكره هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم شعراء، ويبحثون بشتى السبل والطرق
البديعة والحقيرة والمباشرة والملتوية عن وسائل إعلانها.

أكره هؤلاء الشعراء الذي يدعون امتلاكهم ذبول الريح، قرون النجوم، وغيرها
من التعريفات الذهبية. وهم في الحقيقة: متسولون يتمسحون بأرجل الموائد،

كقطط الوحل ونجوم الشفقة (كان نيتشه يكره الشفقة) يجمعون الصدقات،
ويسألون الخبز القبيح.

هؤلاء المفتونون بالصور المزركشة، وتلقي الدعوات، وحضور المأدبات،
والتقاط الصور التذكارية مع قارورة النبيذ. هؤلاء الذين لا يتورعون عن تنفيذ جريمة
واضحة، كتقديم رشوة لغوية لناقد أو تقبيل كتف ناشر مبتذل. هؤلاء كم أحتقرهم
وأضعهم في ذيل الوجود وذيل الحياة! (القواد لا يمكن أن يكون في الرأس).

48

شاعرٌ أو نصفه

أو رُبُعُه

أو أقلُّ الناسِ شأنًا

يأخذُ الصورةَ قربَ الليلِ،

أو قربِ غبارِ الحائطِ.

مُومسٌ تكتبُ في خرقتهَا

بعضَ الكلامِ الساقطِ!

أيها البارُّ الإلهيُّ!

أنا أسكرُ حتى أتحاشي

وجههُ،

بسمتهُ،

ويدا معروفةً تبحثُ في حاويةِ،

مقبرةِ،

مزيلِ،

عن هواءِ قانطِ!

وتراهُ قربَ مقهى

يحتسي أحلامه/ أمجاده
ويظنّ الشعرَ: أن تشبه كونديرا،
وأن تلبسَ قمصانَ مصيفٍ،
و بـ «زنيبار» تبكي
وتغني كعجوزٍ،
كسُنُونُو
لمساءٍ محبَطٍ!

شاعرٌ؟

لا شكَّ في موهبةِ التواليتِ

لا شكَّ إذاً

في شعرياتِ الغائِطِ!

إذا كان شعرك يحقق لك رخاءً مادياً، ورفاهيةً ملحوظة، فأول خطوة تتخذها: تشكُّ في شعرك بقوة، وفي قيمة ما تكتبه. فلم نسمع من قبل عن شاعرٍ جدِّي اغتنى من بيع آلامه أو دموعه، ولا حفارِ قبورٍ حقق ثروةً بانجازه تقاليد الموت.

الشاعر = الفقر. الفقرُ ملازمٌ للشاعر، كالظل يلزم الإنسان. إذا غاب الظل، غاب الشاعر. ثروة الشاعر الحقيقية هي ظلُّه.

ما نحتاجه بالفعل ليس اللغة التي بين أيدينا، والتي لم تعد تساوي حشرجة سمكة تخرج من البحر. اللغة التي تبدو كجسد متعفن لن تنجده الملائكة. هذه اللغة ما أكثر مساوئها! غزت تفاصيل الحياة على نحو سيء، وأصبحت أشبهً بثقوبٍ في رداءٍ قديم. أصبحت تستهلكنا، وتُفقرُ عزمنا الشعرية بعفونة معانيها ومُحتوياتها.

إذا فحصنا أكثر مفرداتها، سنجدُها عبارة عن عزاء، وتغطية لإحساسٍ مزرٍ بالنقص. محاولة الإنسان لتعزية نفسه بسبب النقصان المقيم في الحياة. فهل من الحكمة أن نغطي أعضاءنا بثوبٍ ممزق أو يمتلئ بالثقوب؟ هل من الحكمة أن نستسلم للكلمات لا توفر حتى قميصاً للشحاذ؟

ما أحوجنا إلى كلمات جديدة تُغذي الرعب وتمدح الدمار. إلى لغة جديدة تبني أكثر مما تصف. تُرعب أكثر مما تبث طمأنينة. (تجد الأنبياء المرعبين يقلُّون كثيرا في تاريخ الإنسانية. الرعب هنا، والتدمير هنا لغوي.)

ما أحوجنا إلى كلماتٍ تحرِّبُ لتشيّدَ كونا جديدا، مثل:

فأسٌ يشق وجه السماء.

برقٌ يسقط الكهنوت وبيغاوات الدين، ويُلقي الملائكة المحتالة في الجحيم.

تعبيرٌ جديد يبدن حياة النور، حيث لا مكان للسأم، ولا وقت لتقليل الأظافر كنوع من التسلية.

اللغة الخالقة هي ما نحتاج لتدشين عصر جديد.

51

يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنْ اللَّهُ سَيَجْمَعُ الشعراء الحقيقيين جميعهم في محفل القيامة. سيجمع كل الشعراء الحقيقيين الذين عاشوا الإحساس كجمرة متقدة، كمصباح يضيء زوايا النهار. سيجمعهم في ساحة خاصة لا يلجها سواهم. ساحة مرمرية تنطبع فيها أحاسيسهم الشاحبة كأنها مصنوعة من جلد المرايا، وينظر إليهم من خلف عظمتهم مبتسما، ويقول:

- آه، قلتكم كثيرا وكثيرا، وأصبتم قليلا وقليلا...!!

52

أعترف لكم أيها الأصدقاء أنّ ما أنشره ليس سوى مسودات لقصائد. كائنات بلا أقدام وبلا رؤوس. مسوخ لغوية عجيبة تكشف تشوها داخليا، وتحتاج إلى إصلاح وتأني، وهو الشيء الذي لا أملكه الآن ولا أعدكم به. لا أملك تلك الرصانة التي تجعلني أقتطع زمتنا من وقتي وأحفظه في خزانتي، ومن حين إلى آخر أستغله في مراجعة أعمالي الفنية، كما ينبغي لفنان يصلي في معبد.

أعمالي إذًا، في ظل هذا الإهمال الذي أعتبره فنيا أيضا وينتمي إلى صميم روحي، ليست سوى مشاريع لا تكتمل، ولا أظنها ستكتمل إلا بحلم. السرعة التي أكتب بها تجعلني كمن يملكُ جمرة في روحه، ويرغب في التخلص منها في وقت وجيز، دون الاكتراث بالعيوب والنقص المحتمل.

لا يهمني ما يجده الآخر من نقص، مادام الشعر حميمية تخص الشاعر وحده، ولا شأن للآخر بها إلا من قبيل الكرم الذي بيديه الشاعر.

إنكم أيها الأصدقاء لا تعرفون ما معنى أن يملك الشاعر نارا متقدة، ولا معنى أن يعجّ القلب بالحرائق. لا تعرفون أن الكلمات المتزاحمة في الروح والوجدان قد

تُحدِث عَطْبًا. أن يكونَ الشاعرَ مثقلَ الكاهلِ بمسوداتٍ ومشاريعٍ، يسعى بكلِّ جهدٍ إلى إراحة نفسه منها.

أقول لكم: لا سريرَ للشاعر في هذا العالم. بمجرد ما يفتحُ عينيه حتى يتسلل التعب إلى جفونه، ويرغب في أن يوجز. أن يقيء قليلاً كانطباع أولي. أن يخط المسودة، ويقدمها هكذا بلهوجة، بتبرم، بملل...

خذ جروحي.

خذ تعبي..

خذ ألمي..

خذ..

ولعل معدةَ الشاعر أكثرُ أعضائه مللاً. بسرعة يتسلل الملل إليه إذا لم تكن المائدة الكونية شهية، حافلة بفواكه العصيان والتمرد. فلا تكن مثقلاً بالملل أيها الكون! لا تكن سمجاً سخيفاً مُتعباً! لا تكن طريقاً منمّقا بالعناكب!

أقول. أقول .. ولا أندم. لكن من يدري؟ لعلي أوفر فرصة أخرى للتعب فأفرح. لعلي أوفر فسحة أعود فيها لأرتب أعضائي بطريقة أكثر أناقة ووهجاً..

الكون عبارة عن مُسودة!

ينبغي أن نحترس، نحْنُ أرباب الكلام، المهرة في تنقيح السماوات، من الغرور الذي قد يخدعنا ويعمي أبصارنا، فرحْمُ الشِّعر ليس بتلك المثالية التي نخالها، والكلمات ليست هشة ضعيفة حتى نغتصبها اغتصاب القوي القادر.

إن نشوة الكتابة عادة ما تدوخ العقل، وتجعله يستكينُ إلى كسلٍ لغوي. كسلٍ ربما سيجعلنا نهمَلُ قصائدنا، ولا نتابع نموها باهتمام دقيق. فكم من قصيدة أثارت إعجابنا في البداية، وتراجعتنا حزاني أمامها حين اكتشفنا لاحقا أنها ولدت ميتة أو ناقصة. لذا ينبغي أن نحترس دائما. أن لا ندعو الجنونَ إلى موائدنا اللغوية بإفراط. أن نبارك الحرص المبالغ فيه، والتدقيق العميق للألفاظ والمجازات، ومساحات الرقص.

ينبغي أن نعترف بشجاعة أن الكثيرَ من القصائد تأتي مكلفة بالنقصان، وتحتاج إلى حاضنة اصطناعية لتتم نموها ببطء. والشاعر الماهر هو الذي يلعب دور الطبيب القادر على أن يحافظ على حياة الوليد ولا يتركه في مهب النسيان. أجل، نحْنُ أرباب الكلام لن نحجلَ من الاعتراف بأنَّ كلامنا قد يعرّوه ضعف. نقصان. لن نحجلَ من الاعتراف أننا عادة ما نحتاج إلى بتر. محو. تنقيح. تعديل. إضافة. وربما إلغاء أيضا عندما يستحيلُ إنقاذ قصيدة وُلدت جثة!

فلنحتسِرْ إِذْنِ، نَحْنُ أَرْبَابُ الْكَلَامِ، فِي لَعْبَةِ الْكَلَامِ!

54

عندما يصيبني الإهمال، وهو أقرب الحالات إلى نفسي وأكثرها حميمية، أودُّ
أو يصبحُ جوهرٌ هدي: أن أكون استعارة منسية في قصيدة شاعر مغمور!

55

(العالم) لا يرغبُ أو لا يجِدُ في نفسه رغبة في الاعتراف إلا بالأموات من
الشعراء، لأن الأموات مجرد تماثيل مصطفة لا تصغي إلى التصفيق أو لا تستفيد
من التصفيق، ولأن الأموات لن يكلفوه إعجاباً مؤلماً يصل به إلى حافة الصراخ
والجهد والتمجيد.

ولأنَّ (العالم) لا يريدُ إنْهَاك وجوده بوسادة مجاز مُعترفٍ بها أمام الملاء، بل
يريد، بالأحرى، قبراً توضع عليه وردة نفاق، وتُسكَبُ عليه دمعة اصطناعية!

56

سعيدٌ هُوَ من يَحْزَنُ كَنَزَ الطفولة في جراب، وينتظرُ أيامَ القحط. أن يَحْزَنَ
الطفولة كالقرش الأبيض لليوم الأسود، كما يُقال.

سعيدٌ هو ذلك الذكي اللبُّ الذي يعرفُ طبيعة الحياة التي لا بد ستجوِّدُ بسنواتٍ عجافٍ، فلا يبذرُ الطفولةَ في الأشياءِ السُّوقيةِ، بل يحافظُ عليها ككنزٍ، أو كبرقٍ يستعملُهُ في السماءِ الغائمةِ.

إنه يأوي إليها ويحفظها بكلتا يديه، وينظرُ إلى العالمِ نظرةَ المرتجفِ الخائفِ. نظرةً من يخافُ أن تغدرَ به الذاكرةُ، فلا يجدُ حديقةً في إحساسه تعينه على مواجهةِ تقلبِ الأحوالِ.

جميعنا نملك هذا الإحساس إزاء الزمن وتقلباته، حين يصبحُ الكونُ مزهريّة فارغة. حين تفتغرُ السماءُ فاها. جميعنا نتوجسُّ من الزمن. العبورُ السريعُ للأشياء. الانقضاءُ المحجفُ للمراحلِ العمريةِ، وكأننا في ضيافةِ الريحِ.

والسعيدُ المرُّ فينا من يخزنُ طفولتهُ في جرابِ الكونِ، حتى يستعين بها لاقتناءِ معاطفِ الفرحةِ لاحقاً.

أما من كان سيءَ الحظ منذ البداية، ولم يمتلك طفولةً مائيّةً المعنى، شفافة الخطوات. من سُرقت منه الطفولة، كما تسرقت حلوى من كف طفل، فما عليه سوى أن يكون شاعراً، ويخلقُ طفولته بيديه من جديد.

أن يكونَ كالمخالقِ يلعبُ بالعجينةِ البدئيةِ، ويقول:

- كوني يا طفولتي!

أتكتشفُ المعبدًا؟

أتسجُنُ ضوءَ الطفولةِ في مقلتيك،

لكي تستضيءَ بها،

يا صديقي، غدًا

شبابيكننا فُتحتُ،

منذ أن فُتحت، للصدى

مَضَى الوقتُ يحملُ أحلامنا،

مضى في طريق الغبار،

ولم يكثرثُ أبدًا!

57

لم يكن الكونُ عاطلاً عن العمل.

كان في انتظارك أيها الشاعر!

58

قد تصل بي الكتابة حتى الاستنزاف، فأحس بجسدي فارغاً منهوكاً حد المرض، وأرغب في الابتعاد عن كل جهد يجعلني أقف وجهاً لوجه أمام اللغة أصارعها، وأمسكها من قرنيها العنيدين.

إنَّ راحةً تبعُدني عن مشقة الكتابة لهُيَ أمرٌ ضروري لا غنى عنه. راحة تغيب فيها الكلمات والمعاني. راحة هي فترة نقاهة أتعافى خلالها من جروحي الروحية. لكن هذه النقاهة لا ينبغي أن تكون شجرة عارية من الثمار. لا يجب إضاعتها في اقتناء جوارب الشحوب بل ينبغي استغلالها قدر الإمكان لإعادة خلق آفاق أخرى محتملة.

الكسل دواء الروح. أتجولُ كمريض يقصدُ نافذة، وكفارس جريح لم يجد درعه. العالم معركة، والخاسرُ من يقول: أنا المنتصر!

أما المنتصر الحقيقي فمن يتسم، وينتصرُ على طعم الهزيمة!

59

تنتابني بعضُ الأفكار الغريبة، كأن أعملَ على التخلص من ظلي الشعري. أن أجعله مجرد نفاية علقت بي في لحظة سهو أو غفلة. ربما لم أحسن رعي الغنم

كما أحسنه الأنبياء قديماً، فرأت السماء أن تمدني بإبريق الوحي حتى أسقي
الخياري والحزاني والغرباء.

هذا الشعر ربما علق بي، لأن جبل المشيمة الذي يربطني بأمي (الأرض) لم
يتعرض للبتر الحازم والصارم. ولذا فأنا مشوه الكيان، أجرجر مجازاتي ورائي كطفل
غريب.

أ هذه هي حالتي بدون زيادة ولا نقصان؟ مجرد وليد قدم فجأة إلى هذا العالم؛
ولم يملك الله المقص الضروري حتى يشذب مجازاته وأحلامه؟!!

60

قد يولدُ الصبحُ شيخاً، ولا يجدُ حجراً يتكى عليه.

قد أتهمُ بالمرح، ويُنظرُ إليَّ كعنوانٍ لفرحةٍ غريبة.

قد يكونُ للوردة الجانبية اسمٌ أقربُ إلى الصمت. اسمٌ قلما تنادى به.

قد يخرجُ الصبحُ طازجا تغلفه التساؤلات.

قد يكون المعري نيئا، ويحتاج لسنين عدة كي ينضج في الذاكرة.

قد يكونُ عمى المعري أكبرَ من السؤال. وأنت لا تزال تلهث في عتبة
الطفولة، تبحث أن تُركبَ جملة سليمة.

*

عَرَفْتُ المعري منذ سنوات الدراسة. شُدِّدْتُ إليه بشدة ملتبسة وغير مفهومة إلى درجة أنني كنتُ أصرُّ على توقيع إنشاءاتي المدرسية باسمه، وسط همهمة التلاميذ الساخرة واستغراب المدرّس. كانت أبسطُ المواضيع المدرسية تنالُ منِّي جهدا ومعاناة، لأنني أعيدُ كتابتها بشكل فلسفي عميق. وكأنني بعلمي هذا، بصبيانيّتي المركّبة، التصق بظلال الأعمى الكبير.

كنتُ صغيرا ولا خبرةً حقيقيةً لي بالحياة إلا ببعض الزهور اليابسة والمودعة في مزهرية قديمة. كنتُ صغيراً. صغيراً، لكن كنتُ أملكُ معولي الخاص، أنهلُ به على صخور الحلم. كنتُ أعمل يومياً على توسيع قفصي الصدري لأستوعب هواءَ المعري المتشائم، منحازاً إلى أفكاره المتطرفة وآرائه في الدين. كنتُ أدركُ أن عماء ليس عاهة فقط، بل هو وردة سوداء تزين قميصَ الزمن. كنتُ أدركُ تماماً أنه يصوغ فلسفة وعقيدة خاصة به. يعتزل البشر والحجر. يبني بيتاً من ظلمة العمى، ويعيش على هدي الظلام. يرتفع بالشعر إلى الذروة، هازئاً من قباحتِ عصره.

فتنة. قبسٌ يلوح من بعيد. لم أدر لي مهرباً أمام عقبه الذي يتصاعد كالأشلاء البشرية. كان يترجمُ الجرحَ إلى نبوة. يأسرُ الوجدان، ويجعلك تتابع المشي في طريقه محاولاً تقليده.

(النجمة ظل في قاموسه).

وتقليده ملخّصٌ في: رسم سُنونو على ورق الروح، والانتظار لما سيسفر عنه الرسم السحري.

أمام فتنته الطاغية، لم أملك سوى أن أرفع القبعة لأحيي هذا النبي، شاعرا بالحرّج الشديد أمام علو القامة وتواضع التحية. كنت أتساءل:

هل هذا التبجيل الأولي كافٍ لأطلّ من شرفة نفسي على ألقه؟

وأجيبُ من غير تردد كُمُريدٍ مجدِّ في حلقة ذكر صوفية:

لا، القبعة المرفوعة لا تكفي للتحية. يجب أن أعد العدة والزاد، وأستعد لرحيل فني بين الكواكب والمجرات.

كنتُ أعني صعوبة الرحيل، وصعوبة التمسك بتلابيب الليل وتلابيب الأعمى. ورغم الصعوبة الواضحة كعنقِ نجمةٍ في الليل، إلا أنني لم أبادر بالجهد اللازم حتى أستوعب الشمس، أو ربما بادرت وكانت خطوتي أحقر من تراب السبيل. فاستسلمت، وركنت إلى التقهقر الظريف والكسل الناعم. كانت نداءاتي الروحية قليلة جدا، لم تستطع دفعي إلى الوقوف على قدمي. كان كسلي رخوا. كان كسلي أعرج يستعينُ بعكاز. تعاليم الأعمى المركبة جعلتني أنهرم، وكان كل

ما قطفته من بستان فلسفته عبارة عن قصاصات من قماش الليل والنور، أستشهد
بها عند الحاجة الثقافية والاجتماعية، كنوع من الواجهة المعرفية لا غير.

عرفتُ رحمته الكبيرة، كنباتي قديم، بالحيوان. تخلّيه عن اللحم كطبق. قلت في
سري: ربما يسعى إلى المائدة السماوية.

ربما يحس بأحزانه تحترق في أمعائه.

لكن ماذا عن تخلّيه عن البيض؟ تخلّيه عن حليب الشاة وغيره؟ هذا العطف
الذي يلعب كبرق طيب ما شأنه؟ ولمّ ينصرفُ إلى أطباق جافة وفقيرة؟

أليسَ العمى يُسوّي بين الأرض والسما؟! فلمّ يميز بين الأطباق المقدمة إليه؟
لمّ الصبحُ يقبلُ في رداءٍ،

والليلُ في رداء؟

أليس الوقتُ وقتاً؟

لم أفهم انصرافه الغريب إلى هذا الزهد الجاف. وقفَ بهامته كظل في عتبة
المعنى، ولم يجتد بتفسير مقنع. ظلّ مغلقاً أمام عقلي وروحي لسنين. وسمعتُ عن
تحوّله العجيب في معابر الجحيم وحدائق النعيم. وكأنّ عيونهُ نوافذ مغلقة أمام
عالمنا ومفتوحة على العالم الآخر.

هل حزنه معراجٌ جديد يعرج به نحو السماء ويكشفُ سوءَ الأبدية؟
ولماذا دانتي يجلسُ كبواب في عتبة خياله، يحسُّ الشاي ويكنس المدخل؟
لم شجرته، شجرة الأعمى وحيدة في فناء الكون؟

*

في السَّهْوِ نعمةٌ للذات! هكذا بادرتُ بالنسيان، ألقيتُ المعري ككتابٍ قديم
في مكتبة الذاكرة، وقلت: ما لي والبحث في عمق الظل؟
ولم يبق من لياليه سوى دفترٍ قديم يصحِّبني كمُسودة.

*

الحروفُ نجومٌ متفائلة. الدفتر في يدي. العالم مفتوح كنافذة. يتملكني هاجسُ
نبشِ الأسرار. فضولُ الاستضاءة بما يُناوشني، وبما يحفزني على قطف فاكهة الفقر
والنور.

يَبزغُ المعري مرةً أخرى. يبرز لي عطيتي من ثمار الليل والعزلة. لقد نضجتُ بما
فيه الكفاية، ولم يعد يُخشى علي من أيدي التيه. أستطيع أن أقرأ الليلَ وحدي
دون حاجةٍ لأحد. لقد راكمتُ سماوات حزينه تجعلني أدنو من مجلسه مسترقاً

السمع، ومختلسا النظر. لقد راكمتُ حدائقَ من طين وذهب، تجعلني أقطف ثمرة وأعرف عمقها. تجعلني أستضيء بقنديل مصنوع من جلد بقايا أحذية الليل.

*

□ العقلُ عنكبوتٌ كوني.

□ العقلُ إمامٌ وما عداهُ فضلالةٌ في ثياب تقوى.

□ احذروا اللصوصَ خصوصا لصوص الروح!

□ طوبى لمن وجدَ الكعبةَ في امرأة، وطافَ حولها!

□ ليس النبيُّ بشفاهِ السماء.

□ استنادا إلى هيام قيس ليلي، فالحجيجُ ضجيج!

□ يُسقطُ الناسُ غباءَهُم على الله.

حتى أن الله يصبح بشريا في صلواتهم.

أول التقوى: خلّصوا الله من عبادة البشر!

□ العابدُ الحقيقي: من يجرُّ الله من سجون العبادة!

□ يُستحسنُ أن ننظر إلى الحياة كقرنفلة مرمية على قبر .

□ ارتبُتُ الكونُ بما يليقُ بتعاسي .

□ انظر إلي !

□ حدِّقْ في العمى الكوني . أنا عتبهُ الكون .

□ شجرتهُ تنمو مستعجلة .

□ الثمازُ حفنةُ غبار .

□ من يُحدِّرُ العقل يُلغي السماء !

□ المعرفةُ جسدُ طائرٍ .

□ الجهلُ أجنحة .

□ تبا لقومٍ بمجدون البلاهة !

□ تبا لقومٍ يرقدون في قعر الجمجمة !

□ هكذا ستجلسُ .

□ العينان فراشتان تحترقان .

- أين لي بصبر الحيوان؟
- رأيتُ الجحيمَ تنطفئُ ببصاقِ العشق.
- أتعرفُ من هذا الرجل؟
- السماءُ تتكئُ على كتفه.
- الإيمانُ والكفرُ صُدْفَةٌ لا غير.
- هل يعاقبُ الله الصُّدْفَ ويثيبُها؟
- كرسِيُّ المتدينِ مواعظُ، وكرسي العاشقِ مساحةٌ من الزهد.
- الثقةُ في كهنة الدين ثقةٌ في الجحيم.
- أيها الصباحُ!
- إنني أجهِّزُ مَرَحِي
- متشائمٌ، لأنَّ لغتي في فترة نقاهة.
- الضيف الذي لا يأتي خيرٌ من الوليمة.
- آه، يحدثُ أن أعد وليمةً لغير المدعوين.

□ لم أذعُ أحدا.

بابُ بيتي عبارة عن مقلب!

□ الحزنُ أخِي الأكبرُ، وبعامٍ يكبرُني أو عامين، ورثتُ ملامحه وطبائعَه.

□ العزلةُ رحمٌ لإنجاب النبي.

□ لا أُسمِّي.

□ أقطنُ خلفَ الاسم فقط.

□ المزيدُ من الحزن حتى ينضج القلب.

□ أحيانا تصبُحُ السماءُ جِبرا لكتاباتِي.

□ ينخرُ البهاءُ كينونتي.

□ المعرَّةُ عزلةٌ مثالية.

□ جسدي يقفُ على ضفة العزلة.

□ السماءُ الحقيقية تتكلم دون حاجة إلى أنبياء.

□ لا يكف الوجود عن بعث الأنبياء:

الصباح!

□ لا حاجة إلى معبد ليس بقامة الصلاة.

□ رأيت عصرا برأس حيوان.

□ تبسيط لغة السماء يزيد من بؤس الأرض.

□ قلت لكم حتى بح صوتي:

□ لا جنّة خارج حدود الغيوم.

□ العمل الفذ يبدأ بإنشاء حديقة.

□ إنّ للمعرفة حبراً لا يملكه كتبة القوانين.

□ ليس دوري أن أضيء.

□ دوري: أن أظلم ليظهر الضوء!

□ الأبدية مساحة كفّ طفل.

□ العمى: حكمة.

□ من المهم تجاوز العثرات التافهة من أجل رؤية الحقول الواسعة.

□ لم أولدُ مُبصرًا كغيري.

□ عملتُ بجهدٍ لأكتسبَ فنَّ الرؤيا.

□ زحامٌ لا يتمخضُ عن إنسان واحد.

□ ربيثٌ حُرْبِي كحيوانٍ أليف.

□ الكهنةُ بُحَّار.

□ المؤمنون زبائن.

□ في هذا التيه:

اليدُ التي أغلقتُ عينيكِ إلى الأبد هي ذاتها التي فتحتُ قلبكِ إلى الأبد!

□ حُرْبِي: مقالةُ الروح.

□ الاشتياقُ حشرةٌ تنخرُ فاكهةَ الروح.

*

لا يمكن أن تكون إلا أعمى فذا، وكأنك اخترت نفسك ووضعتك ووجودك وأنت ما تزال عجيبةً طريةً بين يدي الرب. أعمى من طراز الرائي الذي يضع المستقبل كدفتر. لم تزق لك أغلال القوافي، فتحررتَ بإيجاد أغلال أخرى!

الحرية: أن تسخرَ من أغلالك. من عماك. أن تُجلسَ الصباح كطفل على
ركبتيك. أن تُلزمَ نفسك بلزوم وافِرٍ ومثمر.

ومن شرفة الغيب تطلُّ. تقذف كلماتٍ تحرمُ أذنَ العصر.

إن كنتَ تبحثُ في الصِّحَابِ

فليسَ في الكونِ الغريبِ صحابٌ.

ليلُ المعرة قاحلٌ،

فادفعْ بظلكَ للجنون، فزُبَّما

سيطيرُ حزنكَ مثلما

عجلاً يطيرُ سحابٌ.

ماذا ستفعلُ إن تكنُ روحَ الحياةِ مريضةً

وتسيرُ في

طرقِ العفافِ قِحابٌ؟





مَعْبُدُ الْقِرْقَرَةِ

1

السماءُ تتواصلُ مع الأرضِ بدونِ شفاه.

كلُّ مولودٍ رسالةٌ تنتظر.

2

متى يبني الإنسانُ معابدَ تبيحُ الضحكَ والقهقهة؟

3

حكيمٌ إلى درجة لا يعرفُ فيها يومَ ولادته، وحكيمٌ أيضا، لأنه يقصدُ البحرَ

ليقيسَ حجمَ الروح.

4

لم أتوجَّ نفسي إلا بتيجانِ الريح.

5

ألا يحق لي أن أملك شيئا أم أنَّ حيازة الشيء تقتضي إفراغ اليد وإفراغ

الجراب؟

6

تكتبُ الوردة نصّها الجميل بحبرٍ عَطِرٍ، وتتركُ للريحِ فرصةَ التأويلِ.

7

أليست العصافيرُ في حاجةٍ إلى قشٍ يابسٍ لتبنيَ عشا؟

ولكن مهلا! ما حاجتي إلى العش

أنا الذي أسكن نفسي ولا أبرحها.

أنا الذي لا أملك حتى نافذة تبرزُ لي زرقة السماء؟

8

للزبدِ خطواته اليومية على الشاطئ.

9

بركان!

لا أستطيع أن أكونَ إلاَّ بركاناً، وبريءٌ مما تحدثه حِمِي!

10

تستيقظُ فيَّ قوَّةُ الصوتِ.

يتدحرجُ صوتي ككرةٍ تلج.

من يملكُ أذنا سيسمَعُنِي!

11

من ضجيجِ الحياة أتيْتُ، وبقالبٍ سَاهَمْتُ فيه مختلفُ عناصرِ الطبيعة.

للفراشةِ وظيفةٌ واحدةٌ: أن تُلحِقَ ألوانِي الداخلية بصُدْفِ الكونِ.

12

لن أضحيَ بظلي، فثمنُهُ يفوقُ ما يُطَبِّخُ في رِجْمِ الأرضِ.

ظلي خبِرُ العقولِ، لا يخاطبُ إلا أفواهَ المستقبلِ ومعدَّةَ القادمينِ.

13

ظلي كتابٌ من نارِ.

14

في روعي طفلٌ سيء يكسِرُ المزهريّة.

15

أحياناً، أدعُ شُبَّانَ الكلامِ مقفلاً حتى إشعار آخر.

ألتم الصمتَ كحيلة حربية لا تُدرِكُ غاياتها.

16

غريبٌ، لا أقبلُ حتى إنتاجِ تحية. التحية استسلام. التحية هزيمة. التحية رصاصة أطلقها تجاهي.

17

إذا حدثَ وأصابني سعالُ الحب، أتسلخُ بالأسف. تتورم لحظتي. أتخوف. لقد فتحتُ قلبي من قبل ولم أنل إلا الخسارة.

قلبي مشجَبٌ تُعلِّقُ عليه الهزائم!

18

أنغلق في وجه الكلام كأنني أبكم كوني.

الكلامُ استسلام.

هزيمة.

قبر لغوي.

عندما تتكلم، فأنت تفتح قبرك!

19

كلامي حبرُ الغياب.

20

الأديانُ متاجرُ لبيع الآلهة.

21

لإنجاز الكتابة الروحية لا يتطلب الأمر دائماً معبداً. يمكنُ إنجاز أكبر وأوفر

الكتابات روحية في ماخوٍر مثلاً!

22

أين هو الله في كلامك، أنت الذي لم تقدم لسامعك فراشةً واحدة؟

القسُّ نوعٌ من التكرار الذي نجده في تفاصيل الحياة اليومية المملة. نوعٌ من التنميط الذي يفتحُ مجرياتِ الكونِ اقتحامًا سمجًا. القسُّ لا يقدمُ شيئًا للبشرية غيرَ الوعظِ الرتيبِ الخالي من الجمالية. وهذه الخدمة سهلة وعقيمة يبرغُ فيها حتى الذبابُ من خلال طينهِ الأبدى.

لا يمكن للقس أن يتخطى شيئًا أبدا. هو في نقطة الصفر إلى ما لانهاية. جالسٌ على عتبةِ حياتنا كشحاذٍ بائسٍ ينخرُ آمالنا بترتيلاتهِ.

في المقابل، يعدُّنا الفاسقُ الساحرُ بما لا يُنخِّلُ أو يُتصوَّر.

للنار مائدةٌ عظيمة.

للشهوة أيدٍ تبرغُ في تجهيزِ حقولِ الفواكه.

الفاسقُ إبداع!

أضجرتُهُ لسَعَاتِ الملائكة، فبحَثُ عن رحيقِ الشياطين.

أحسُّ بنفسي مقصِّراً نحو نفسي، ونحو الكون. أفرغُ الوقتَ كأنَّه جردلُ ماء. لا أكرسه كما ينبغي لملاحظة نجمة. ترى ماذا لو استعنتُ بالسموات بكاملها لأعتني بنجمة ميتة. أيُّ إهابٍ سيلتحفه الكون؟

الحياة تفتح عن فرصٍ جلييلةٍ خفيةٍ، ولكن تجدنا نحنُ المساكين، أبناء الفوضى، لا نحركُ ساكنا. تمرُّ الأفرح ونحسبها ماتم. ينتشرُ لهيبُ العرس، وعضوا عن السؤال: عرسٌ من؟ نساءل: جنازةٌ من؟

ترى من دسَّ النفايات في أرواحنا بهذا الشكل الفظيع الانتقامي؟ ألا يمكن لصباح واحد أن يكنسَ عزلتنا؟ أليسَ الشعاعُ نبيا آخر يقفُ على عتبة النافذة؟ أحسني مقصِّراً نحو نفسي، ونحو الفواكه التي يجودُّ بها الوقت، وكأنَّ يدي مغلولة أو تضجُّ من قطف الألوان المتاحة.

أريدُ أن أسكن الوقت. أن أعيدَ ترتيب نفسي من جديد، فأهيم بفاكهة. أن أنفق يومي على تأمل فراشة حتى ألقب بحارس صلواتِ الفراشة.

عندما تنبسُ لفظاً فظاً، تُفتحُ حجراتُ عدة أمامك. تظهرُ المومسُ أو البغي التي حصلت على عناية بودلير الشعرية: قلادةٌ في عنق الجحيم.

تتسرّب أنتَ كالبخار في الأزقة الهامشية مدفوعًا بسحر التجربة. النساء ملء
الفضاء. في النوافذ. في الأبواب. في الأتربة. أو كسجينٌ يملأ القفص الصدريّ ويورثه
الالتهاب. تلتفتُ بجذر. القانونُ الأخلاقي يحضّر هنا أيضا كنسيح العنكبوت.
حُطوةٌ غيرُ محسوبة، وتكونُ فريسة لصفعات السماء.

السماءُ مخبّرٌ أو شرطي. السماءُ لا تكفُّ عن التجسس. تفتش أفئدة المؤمنين
وغيرهم. ترى أين الحرية التي أضنت عقولَ الفلاسفة؟

أين هي الحرية التي حلمتَ بها؟

تتنفسُ وتهوي الآلهة من تلقاء نفسها. لا أحدَ يعلمُ بسرِّك. تتحركُ في الكون
كقطعة خشبية على رقعة الشطرنج. أسئلة تراحمك: هل أنت حرٌّ أم مقود؟ البغيُّ
ستخبِّبُ آمالكَ الفلسفية بماكياج مكدِّسٍ في الجفونِ والشفاه، وفي مدخلِ
النهدين...

جسدٌ يُهزَّبُ المتعَ كبضائعٍ غيرَ قانونية.

(الإنسان شقيٌّ ما دام ينظرُ إلى شهواته كبضائعٍ تحتاج إلى التهريب. ما
دامت هناك سلطة تُعلِّقُ بعنقِ الروح كنير).

خطواتٌ فوق التراب.

كم عابراً تخبّطُ في هذا الممرّ؟

العابرون يعبرون.

الكلابُ اليومية في الروح تَهْرُ، وأنتَ بكتابٍ فقط. بقصيدة لم تكتب بعد.

قصيدةٌ تنتظرُ في باب الشهوة.

الجسد يدعوك، ويومُ الولايم في المخابئِ السريّة. الشارعُ عارٍ. ثمة أعين

تستقصي، تتطلّع. تتساءل ولا جواب إلا غبار يتراكم في الزاوية.

ببساطتها المومسُ تدعوكُ إلى وليمة بشرية. سرّتها مشانقُ للمذعورين. تتعلّقُ

بنافذة حديدية، وتتركُ لسانها يندلق كالحرير. الغرفة في زاوية قميئة لا تصلّها

الشمس، وروائحُ كتعابين ملفوفة. ظلمة تكسو المكان. القمرُ كجوربٍ منسي.

السماءُ سيّدة تبحثُ عن قفازها الآخر.

أدخل

الشرك..

الشرك يُنصبُ للفأر (في المعابد الهندوسية تنعمُ الفئران بقبولة مقدسة).

أدخل!

كلماؤها كالشرك الذي يُصبُّ للبشر. تذكرتُ في تلك اللحظة أغنية تمدح
باباً حديدياً، وغرفة المومس بابٍ حديدي.

ينفتح الباب ويخلف في الأذان صريراً كحشرجة المحتضرين. يلوح الظلام. لا
نجم في الممر. الشبح يتسلحُ بقنديل ينتج أشباحاً. الغبارُ يملأ المكان، وحواسكُ
مستنفرة لاستقبال المعرفة. ليست تلك المعرفة الحدسية التي تلمع فجأة في القلب
كالسرِّ. ليست كذلك، فهذه المرأة، وهي تقودك في الدهليز المظلم إلى غرفة بلا
ملامح، متسلحة ببساطة وقحة وقنديل نثن.

تلمخ الكتاب في يدك، وأنت تُخفيه كطفلٍ ضُبطَ يستمني مركزاً خياله على
فراشة ملونة.

هه! كتاب؟

مستغربة ترفعُ حاجبيها، وكأنها لم تنتظر زبونا بهذه البلاهة. بلاهة السماء.

في هذا الركن القصي، هذا الركن الذي تُصاد فيه الفئران بكلمة فقط. لا
كتاب غير التعب.

أمامك كتابُ الخطيئة، فلتفرح كشیطان صغير يقفزُ من هنا إلى هناك على
المسرح، ويزدري إملاءاتِ الإله.

تفاحة!

شجرة!

ما هذه الإضافات في السيناريو؟ أما حَوَاءٌ فقد ضجرت من الحشو اللغوي!

جلست المومس قبالي تعيدُ تنميقَ أجفانها. أحمرُّ الشفاه رماذُ. أما الابتسامة ففتحٌ سمج. بدأت الجلسة بسرد قديم يعود إلى بدايات نشأة الآلهة، حيث كانت الفوضى تعم كل شيء.

إنَّ فوضيَّ ما تعترني نعاسك. قالت.

لم أنظم شهوتي بعد، ومهما تعرضي من فواكة، فإني أحتاج إلى تمرين بسيط كي أتخلص من الخوف والدهشة.

قالت: جسدي خيمةٌ وسط الصحراء، فقم!

تذكرت الكتابة الأوتوماتيكية! قلت في نفسي لأندري بريتون: أن تنام مع مومس هو نوعٌ من الكتابة الأوتوماتيكية. القبلية مختزلة، والجسد أيضا. كشفت منه ما يفي بالعرض السريع والشهوة السريعة.

لم يكن في الأفق ثمة نجم يصغي إلى سردي.

قنديل نتن ينبعث نوره كتحية فاترة.

أي كتابٍ لا يحرِّرُ الإنسانَ لا يستحقُّ النشرَ، ولا يستحقُّ مشقةَ إتعاب الأعين بالبحث والرصد والتوجس. لا يستحقُّ أن نجلس أمامه كأتباع ومريدين نتعلمُ من ملكوته الببعائي. لا يستحقُّ أن نجلب الفرحة من أعشاش الكون البعيدة لاستقباله. أي كتاب لا يلعبُ دورَ قابلةٍ قاسيةٍ تنتشلك من رحم مظلّم، وتجبرك على ولادةٍ جديدةٍ، فهو كتاب لا يستحقُّ الالتفاتَ ولا الاكتراثَ ولو من قبيل المجاملة والنفاق.

فما أكثرَ المؤلفين الذين يحيطون بنا كأهم النمل المجد ينتظم في طوابير يجر مركبات العشب. كأهم كهنة العصر الجديد الذين يطبخون، ويمولون أعراس السماء. ما أكثرَ هؤلاء، لكن بدون رؤيا تسحبهم من غفلتهم، ودون مشروع يقود خيالهم، ودون غد يلهث كالسلوقي خلف الطريدة! ما أكثرَ الكتب التي تنتشر بيننا وفيها. من اليمين واليسار، ومن الأسفل والأعلى، كأنها قوت البشر الذي لا تكل منه الأفواه ولا تضجر منه الأهواء. لكنها، للأسف، لا تحقق عارا معرفيا. لا تصدم واقعنا، ولا تتوجه إلى باب المستقبل كالريح العاتية الصارمة. لا ترقى إلى مستوى المطرقة (مطرقة نيتشه) أو تستحق وسامَ الفضيحة!

الكتاب الحقيقي دهشةٌ صافية. غرابةٌ جديدة تنضافُ إلى الحياة، كالهواء النقي الذي ينظفُ رئاتنا وأرواحنا، ويجرّنا من قيودٍ داخلية تسكننا. الكتاب الحقيقي هو قبل كل شيء عطاء الروح. كرمٍ طبيعي يحسه مؤلفه تجاه الأشياء، فيبدل نفسه من أجل التحرير الحقيقي والجاد.

وبما أن العبودية لا زالت مستشرية في المجتمع، والاستلاب ما زال يحقق غزواته الكوكبية، فهذا يعني أن أطنانَ الكتب التي عرفت الطريقَ إلى النشر هي: كتب زائفة لم تحقق أي تحرير. لم تقدم شمساً حقيقية تفتحم أسرتنا الجاهلة، وتساهم في اليقظة. لم تحقق:

أيّ حقل.

أيّ نهر.

أيّ عشب

أيّ غبار.

لقد كانت هذه الكتب مجرد وهج زائف. نجوم ميتة ترقص في صحن السماء. لقد كانت حفلاً للتباهي فقط. كتباً يتم نسخها وتبادلها في لقاءات تنكيرية لا غير. لم تقدم هذه الكتب، على كثرتها وصخبها الفارغ، أية أفكار ثورية تدفع الإنسان إلى أن يقف صلباً على قدميه ويصرخ متوعداً في القيود: أنا!

الكتاب الذي لا يعلمك أن تقول: أنا.

الكتاب الذي لا يجعل من (لا) مائدةً لأطفال الحلم.

الكتاب الذي ينزع منك جنونك كما ينزع طبيب الأسنان ضرسا مستعصيا

مشاغبا.

الكتاب الذي لا ينشر هتافاتِ العشب.

الكتاب الذي لا يصلح أن يُنصَبَ ككمينٍ للطغاة..

الكتاب الذي يساعدُ القس والله والمعبدَ على نشر سُموومِ الطاعة.

الكتاب الذي لا يعيدُ إليك طفولةَ النور، ويزودك بتفاؤلِ الفراشة.

احذروه! بكل ما أوتيتم من شك وتمرّد وعنفوان، احذروا هذه الكتب!

28

لماذا تهتم الأديانُ في إنشاءِ مجموعةٍ من المؤمنين المطيعين؟ أليس هناك دين

يهتمُّ في إنشاءِ المتمردين والعصاة؟

29

ماذا لو عكسنا البديهيات؟ الجسدُ نورٌ يضيءُ ليل الروح.

30

تفقد المومس الأنوثة. السحر الذي يحف بالكون. ثمة قرف يعتريني وكأنَّ
المومس الفاتنة لا يمكن أن تبشّر بربيع. إنها ربيعٌ يتأكلُ بعنف. اندحارٌ مهول
للجمال. ربما لأنها متاحة للجميع كاللغة العادية.

والشاعرُ يبحثُ عن الخصوصية.

السماءُ الخصوصية،

والوردةُ الخصوصية.

31

الأفق وليمةٌ لتلبية الجوع الأبدى.

الأفقُ طعامُ المسافرين.

32

يمنحك الخريفُ فرصةً أن تبني قبورا، وتهدمها في نفس اليوم.

يستعدُّ الشيطان ليراجع جميع الدروس الأخلاقية التي ينتجها المجتمع البشري. يجلسُ في غرفته السفلية مستنيراً بنجمة وحيدة وشاحبة، وسط ظلام كلي، وأمامه أطنانٌ من الكتب. كُتب على اليمين. على الشمال. فوق، وتحت. مخطوطات قديمة تؤرخ للبدائيات. يفكرُ: هذه المراجعة ضرورية كي يقوم بدوره أحسنَ قيام. آه، يا له من عبء كبير يُرهقُ معلمَ المعصية الأبدي! عليه أن يكونَ ملماً بجميع الأديان والمذاهب والطوائف. عليه أن يحفظ عن ظهر قلب كلَّ التعاليم التي تعج بها الكتب الدينية. عليه أن يعرفَ أين تنتهي حدود الفضيلة وأين تبدأ حدود الرذيلة. أينَ يكونُ الخير وأين يكون الشر.

عليه أن يكونَ يقظاً مُعلمُ المعصية الأبدي الذي أُلصقت به وظيفة الكشف عن ننانة الجثث. تزيين الأنداء المترهلة. تحسين محيياً الشر بأيدي فنانة مذهلة.

مُعلمُ المعصية الأبدي يدوخ أمام الركام، التزييفات، التبريرات، التناقضات. يدوخُ أمام كثافة السحب. هل يعظُّ أم يغوي؟ تختلط السماء بالتراب. تصبُح النارُ دميةً ماءً. يتحولُ المعلم إلى تلميذ يتهجى سطورَ الكتب الأخلاقية، ويقع في مأزقٍ وحرَج. يتساءلُ ضجراً كمن يدون خاتمة مقتضبة لمسرحية:

ما الخير؟

وما الشر؟

34

الجنديُّ يحشو بندقيتهُ بالجنثِ المستقبلية، ويقول:

أدافع عن الخير!

35

كتابُ الطبيعة يسعُ تأويلاتِ الجميع:

فيه الضوء، وفيه الظلمة.

36

سؤالٌ مشروعٌ في مجال العلوم التي تختص بدراسة الخير والشر:

هل تدركُ الشجرةُ الفارقَ الموجود بين المزارع الشريف واللص يتسللُ ليلاً

ليقطفَ ثمارها؟

73

قال الحكيم:

أيها الشرُّ! يا معلمي الروحي!

تعلِّمني أن لا أقترفك.

38

تقفُ المحكمةُ عاجزة أمام هذا السلوك، والقاضي ينظرُ مبهوتا.

امرأةٌ تسرقُ في غيبس الليل وردة من حديقة المدينة، كي تزين قبر زوجها الذي
أضناه جفافُ الأبدية.

سلوكها من جهة إساءةٍ إلى الجمال العمومي، لكنه من جهة أخرى إرضاءٌ
لحبِّ غريبٍ مُشع .

من يقدرُ أن يدينَ سلوكها؟

تقفُ المحكمةُ عاجزة.

القاضي ينظرُ مبهوتا.

39

يبحثون عن الجمالِ بقناديلِ أحزانهم.

40

ليست عُيوناً.

هي ندوبٌ في وجه الغيم.

41

الخطأ قنديلٌ في ليل الوجود.

42

الحكيمُ يجرُّ نفسه من زرقة السماء. أما الأحقق فيصنعُ أصناماً طينية.

43

لو قُدِّر لي وعشتُ في العصور القديمة، ما كنت لأحيدَ عن الظفر بمجد الأنبياء؛ أن ألصق أذني بالسماء؛ ألتقطُ الهدياناتِ المقدسة. أما وقد وُلدتُ في العصور الحديثة. العصور التي تفر فيها العصور منَّا كخيول مجنونة، فحظي الوحيد هو أن أنتهي كظل يستريحُ بركن في مقهى، أستمتعُ بطمأنينة وسكينة اللاشيء.

44

أعجبُ للصلاة. مياه نقديُّها إلى الله من أجل سقي أنفسنا.

45

يَجِبُ أَنْ نَبْنِيَّ الْمَعَابِدَ بِإِحْسَانِنَا، بِطُمُوحَاتِنَا، بِدُمُوعِنَا.. وَحَتَّى بِذُنُوبِنَا، وَكَأَنَّنا
نَنْسُجُ مَعْطَفاً.

المعبدُ خيَطُ يَتِيمٍ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ.

64

مَغْفُورَةٌ نَزَوَاتُ الرِّبِيعِ حَتَّى وَإِنْ أَحْدَثَتْ جُرُوحاً.

47

يُلُومُونَ اللَّيْلَ لِأَنَّهُ مَظْلَمٌ!

48

أَعِيشُ الْأَمَّ.

أَقُولُ: لَا بَأْسَ. إِنَّهُ نَرُدُّ الْأَهْلَةَ!

49

كطفلٍ مبتدئ، أتَهجى الصلاة بينَ يدي الله.

50

أعجب من أولئك المستائين من صمت الإله.

ألم يسمعوا جملته الشهيرة: الكون؟

51

الله!

هذا الشاعرُ الذي خصَّصَ مساحةً كبيرةً للصمت في ديوانه الكوني!

52

احتفالكَ بحقيقة ما يُقللُ من قيمة تلك الحقيقة.

53

- بعثَ ضميرك أم ليسَ بعد؟

- للأسف. أنا فقيرٌ جداً إلى درجة أنَّ ثروة كالضمير لا أملكها!

عجيبٌ أمرُ الإنسان: يَهْدُمُ ما يراه ليؤسِّسَ ما لا يراه.

عندما انتقد نيتشه أسلافه الفلاسفة في بحثهم عن الحقيقة، لم يكن يقصد من ذلك إلا أن يبيِّنَ مفهوم الحقيقة كمفهوم زئبقي يندرج ضمن «الكذب والخداع»، والذي لا ينبغي أن ينطلي، منذ الآن، على أحد. البحث عن الحقيقة هو محض ادعاء يدعيه الإنسان كي يكتسب تعاطفا من القطيع، ومن ثمة تأييدًا وتقديسًا.

وكنقيض لذلك، يذهب نيتشه ساخرا إلى البحث عن اللاحقيقة، رافعا راية العصيان ضد أسلافه، ويتساءل:

ما الجدوى من البحث عن الحقيقة؟ ثم هل هناك حقيقة أصلا أم الأمر مجرد ادعاء ودجل يلبسه البعض من أجل المزيد من السلطة؟

الذي يدعي البحث عن الحقيقة والوصول إليها مجرد كاذبٍ يتمسح بمسوح الحقيقة لما لها من مصداقية وقبولٍ كلاسيكي في أذهان الناس. فلتكن إذا اللاحقيقة ضد أولئك الذين يزعمون البحث عن الحقيقة. أولئك الذي يُشَيِّدون المزيد من الأصنام.

وإذا كان هناك ثمة من يرغب في تشييد صنم للحقيقة، فالأجدر به أن يشيد صنمًا للخطأ.

أيها الخطأ! مبارك أنت.

56

في رجل الدين ما يُنفر. ما يُشعر بالقيء. ثقته الزائدة وهو يرسم ما يسميه «الحقيقة» بريشة متأكلة. والازدهاء. الازدهاء بالنفس وهو ينطق كلامه، وكأنه من واجبنا أن نصدقه، ونحتفي بأعشابه التنتة.

كلام رجل الدين هو مذبذب جاهز للعقل، وكأنه يقول:

قدّموا عقولكم قربانا!

أطيعوا وسلّموا!

امرّحوا كخنازير مؤمنة في الحظيرة الفسيحة!

57

مع أنّ كلامي شرير إلا أنني أكادُ أشم رائحة النبوة تفوح منه.

الغباء يمكن أن يكون وجهة نظر ينبغي احترامها!

لا خلافَ على هذا الأمر؛ أن تؤمن بحق الآخر في التعبير عن غبائه بنشاط وحيوية. لكن أين حقنا نحن في الراحة والنبيل والعزلة؟ نحن الذين يزعجنا الغباء كثيرا، ولا نتمالك أعصابنا عندما يتكلم أحدهم ببلاهة وثقّة، وتُحفظ عيناه كالحكيم.

أين حقنا الأکید في أن ننال وردةَ الصحافة؟ وماذا سنفعل نحن الذين نستثقل العفن ونمجه كارهين ساخطين ناقمين؟

الديموقراطية جريمة مقبولة إن كانت تسمح للمجرم أن يعبر عن جرمته!

إنَّ العالمَ لاشيء. عجلة سيارة مهترئة أسعى إلى إصلاحها بأدوات عتيقة، من أجل صعود جبل وعر للحصول على القليل من الزرقة.

أليس الأجدر بي أن أهتم بنفسي وألغي ما سواي؟ كطفلٍ يشطبُ رسوما لا تترجم ضحكته البريئة.

إذا لم تستطع أن تحافظ على خيمة عزلتك، وعلى النجمة التي تزين نافذتك الروحية، ما جدوى سعيك خلف إصلاح عطب العالم وضجيجه؟

ليكن عبوري في الوجود كعبور نهر صغير، لا يقيم صدقاتٍ إلا مع آفاقه. أما الإرهاق الذي نجنيه من علاقاتنا بالأشياء اليومية، فالأفضل لنا أن نستغني عنها، ونستغني عن الهراء.

العالم لا شيء. لا شيء "جدا". ولا يمكنك تغيير العالم حتى ولو ادخرت في روحك طاقات القديسين. المستنقع لا يمكن أن يجفّف والحشرات كثيرةٌ إلى درجة أنها تحجب الأفق بطينها. وفي عالم متاكل المفاصل وأعرج العقل، لمن تصنع العكاز؟!

إن قراءة قصيدةٍ أو كتابتها في ركن أهم من العالم بأكمله.

60

أولئك الذين لم يمدوا لي يد العون، ولم يتركوا عصفورا طائشا ينقر سماءَ طريقي الموحشة. أولئك.. سأطوفُ عليهم واحدا، واحدا، وأقلّم أحلامهم كما يفعل البستاني مع أجنحة الطفيليات.

سأطوفُ عليهم واحدا، واحدا، وبموهبة لا تخدعها الألوان المتوسلة، ولا تغريها الرسومات الزائفة.

لا حاجة لي بقماشٍ صداقةٍ فارغٍ من زخارفٍ ربيعية، ولا حاجة لي بمقل
تنقصه كوميديا العشب.

سماءٌ واحدة تسعني أفضلُ من سماءٍ تسعُ الجميع.

61

الكذبُ الوحيدُ في العالم الذي يمكن أن نُنظر إليه بصمتٍ ونغفره، ونتحسس
جروحنا أمامه، كما نتحسسُ ملابسنا الداخلية، هو: كذب الأنبياء، لأنه كذبٌ
صديق!

62

صَدَقَ المسيح حين قال: ليسَ بالخبز وحده يحيا الإنسان. فالشاعرُ عادة ما
يجلسُ إلى مائدة ليتناول أشهى الاستعارات.

63

كن نفسك، ودَع الشمسَ تُكملُ بقية كلماتك!

64

يُحكى أنَّ غنيا جمع ثروة كبيرة، وخافَ عليها من عُيون الرقباء، ومن أيدي
المتسللين، لأنَّ الجياع ينتشرون من حوله كالجراد. لم يكن الغني ليثق في أحد

يستأمنه على ثروته، ولم يكن لديه من الشجاعة ما يجعله يستأجر حارسا يحرس الثروة، ويدفع عنها أذى المتطلعين المتربصين. تفتق ذهنه عن فكرة جلييلة وعبقريّة: أن ينشر مبدأ يحترمه الناس، وينظرون إليه بإجلال وتقدير. أن يخلق عُرفا في محيطه: (السرقه مذمومه، النفوس النبيلة لا تقبل مال الغير. عش فقيرا ولا تمد يدك إلى ما لغيرك. هناك عقابٌ سيّطالٌ من يستحل السرقه.. الخ).

نجح الغني في نشر فكرته وتسويقها كمبدأ. وما زالت هذه الفكرة أو هذا الخلق أقوى وأوفى حارسٍ لثروة الأغنياء!

65

لماذا لا نقول: العبادة نوعٌ من التملق والكلام المداهن، فهي في مظهرها البدائي تقرّبُ نشأ نتيجة الخوف من ظواهر الطبيعة؟ والإنسان كان لا يفتأ، منذ البدايات، يقدمُ الصلوات والقرايين للبرق الغاضب والرعد المزجر حتى يتقي خطره وشره.

العبادة بهذا المعنى: زيفٌ لا يقل زيفا عن المساحيق التي تفشل في تغطية التجاعيد في وجه العجوز.

لا يمكن لمثل هذا الكون أن يأتي نتيجة تفكير حكيم، ناضج، وعاقل، بل هو على الأرجح نتيجة الشعور بالخوف من الوحدة.

ويعنى آخر:

اصنع ضوضاء حتى لا تشعر بالوحدة.

اصنع أي شيء حتى لا تطالعك مرآة فارغة!

لم تعد لدي القدرة على إنجاز أي عمل خيّر أو صالح. لقد نفذت قدرتي على الطيبوبة. ربيعُ الأمس لم يعد قادرا على التبرع بوردة واحدة أو عصفورٍ واحد. أهـي شيخوخةُ الروح أم شيخوخةُ اليد التي لم تعد قادرةً على مصافحة أحد؟

ولأنَّ الإنسانَ يصرُّ، منذ البداية، على أن يأخذ البركات من الكهنة، ولا يأخذها من الحب، فسيبقى شقيا.

انه لمن المؤسف أن السماء أشعلت الكثير من الحروب لصالحها دون أن تعلم
عن ذلك شيئاً.

سيُثمرُ الخواءُ بدون ري حقيقي أو عناية متواصلة. سيُثمر لأن من يملك
الخيال الكافي قادرٌ على تحويل الحجر إلى عشب. وما الإنسانُ الذي اكتشفَ
حقيقته الكونية سوى خيال متجدد ورغبة متواصلة في تغيير الظروف:

تدريب المناخ العجوز على الولادة!

العثراتُ تُقلقُ الأحمق.

وأحمقٌ من يُبالغ في تمجيدِ الليل الأبدى.

أحمقٌ من ينسى الزهرة الوحيدة في الليل، ويهتم بالحلقة.

أنت أيضا يمكنك أن تستهين بكلّ شيء في هذا العالم. أن تجلسَ ولا تسند
روحك إلا بعكاز متمرّد.

من يجلسُ أرضاً أفضلُ ممن يقف! هكذا أقولُ نكاية في مقدّسي الأطلال،
الواقفين على عتباتِ البكاء.

قال أبو نواس: ما ضرَّ لو جلس!

الأطلالُ لا تستحقُّ الوقوف. تستحقُّ الجلوس، والاستماع إلى ديبّ قهوة
في الفنجان.

الزمن يسكنُ في الفنجان، وأنا لا أشربُ الفنجان مرتين!

أنا أيضا يمكن أن أتأبط الحكمة كجراب، وأجلس محتجا على سلوك
الوقوف. وهذا الجراب الممتلئ عشبا وأقمارا، يمكن أن يكون ذا جدوى؛ يمكن أن
يعينني في فهم الوقت وجريانه، وفي فهم الكواكب ودورانها، وفي فهم حكمة الجلوس
في وقت أصبح فيه الوقوف عبادة وتبجيلا.

سأجلس في المقهى، وأعملُ على ترتيب الأفكار، كما يرتبُ الطفل ألعابه.

أنا أيضا يمكن أن أجعل الكسل دينا. أن يكون النوم سلوكا خيرا، ويكون
الحلم شعيرة.

أنا أيضا يمكن أن أتصرف كرواقي جديد: القمر يدور في السماء وحيدا،
لكن يمكن الاستفادة من عزلته.

أن تكون العزلة نافذة مضاءة.

أن تكون الأشياء نسخة من أحلامنا:

الحزن قميص.

اللون الأزرق سروال البحر.

أنت أيضا يمكن أن تخلق العالم من جديد، وبشهوة أكثر دقة وأكثر انضباطا.

لك تفاحة.

ولك حواء.

ولك جنة.

ولك المعرفة التي تضيء بها محيا الذنب.

لا ذنب هناك.

هناك فقط ذوقٌ شخصيٌّ في اختيار الألعاب!

73

تظلُّ الحياة هشة مهما تظاهرتنا بالعكس. إنها مُعرضة للاختفاء في أية لحظة كالشبح الليلي. ونحن الذين يعيشون على سفينة الحياة، ونملاً الأجواء صحباً وجبوراً ومرحاً؛ ندرك كم هي بعيدة، وإن كانت قريبة منا.

إنَّ الموت الذي يقع في الضفة الأخرى أقربُ منا، وعلاقتنا به أمتن وأقوى من علاقتنا بالحياة. تعلقُ الحياة عن هشاشتها منذ الصرخة الأولى التي نقترفها عند الولادة. تصبحُ الحياةُ ماضينا حتى في الحاضر الذي نعيشه. حياتنا هي الماضي الذي نودعهُ بشكل يومي متكرر، بينما الموت هو المستقبل الذي نتجه إليه بدون انقطاع.

74

هذه هي التعاسة الجديدة التي أبشر بها:

مجرد مزهية أفس فيها ربيعا برمته!

لا يمكنُ ربط الصداقة بالوفاء دائما، أو لا يمكنُ أن ننظر إلى الصداقة كمعنى مُلاصقٍ للوفاء. إنَّ الصداقةَ التي تجعلنا مقيدين ربما هي شرٌّ أكثر من اعتبارها سماءً تعج بالخيرات.

"لئن صديقتك أحيانا!" هذه هي الحكمة الجديدة التي نتطلع إلى ترسيخها، وضخها كدم جديد في شريان العلاقات الإنسانية. كم نحتاج إلى حذف أصدقائنا! لا لأننا نكرههم أو نرغبُ في كراهيتهم، بل لكونهم يغدون ثقيلي الظل والأفق والتواجد؛ يزدحمون على بوابات قلوبنا كالذباب القدر الملحاح حد القرف.

إن حذف صديقٍ أمرٌ مسلٍ وبعثٌ على البهجة، وخيانتته قد تكون أمرا محمودا لا ينبغي إغفاله. فإذا كانت هناك ضرورة تستدعي قتل طيف، إلغاء موقد، أو تحطيم مزهية، فلا ينبغي التردد والتعلل والبحث عن تبرير أو تليفيق، كالقاء اللوم على ضيق المكان وازدحام زاوية من زوايا البيت.

لا يمكن أن نتردد في إلغاء صديق، فنبلُّ أرواحنا ونبلُّ خستنا يجعلنا نقتل حتى الظلال التي تواسينا في المحنة. إننا نستهجئ التقيد بصداقة ما حتى نكون أكثر حرية، حتى نلقب بالوحش الوحيد أو الوحش الحر. وأظن أنَّ الحرية التي نصبو إليها، تجعلنا ندفن أي شيء مهما كان نفيسا أو غاليا. ندفنُ حتى البحر في جوفِ سمكة!

سببٌ آخرٌ لأمشي! ماصَّرح به الفيلسوفُ، حين قالَ: أجمُلُ الأفكارِ تأتي عند المشي.

لكن لنكن واضحين صرحاء: هل نحن واقفون فعلا؟ هل نحن حقا نحرسُ معبدَ الوقوف بالتمتمات؟ من منَّا يقفُ حقيقةً حتى ولو ادعى الوقوف؟

إننا نمشي دائما. نمشي حتى ونحن واقفون، مثل تلك الشجرة التي تقفُ على طرف السبيل، وتواصل وجودها الجميل في مكان آخر، وثمازها في مكان آخر. وحتى الظلال التي يُظن بها الوقوف، ويُظن بها الاستراحة والتقاط الأنفاس، فهي تنفلتُ من إسارها كي تقي عابرا ما أحرقته الشمس، وتقي طفلا يحتاج إلى مظلة طفولية.

لو لم تكن هذه الظلال المنسكبة متحررة من كيان الشجرة، لو لم تنتشر كسيريرٍ للمُسافر المتعب، أكانَ ينجو من ضربة الشمس؟

المسافرُ مستريحٌ، لأنَّ الشجرة الواقفة تواصلُ مشيها الأبدي في سرية. تتحررُ من هيكلها الظاهر، وتتسلل كلص محترف لتزاوُل الظل والثمر في أماكن أخرى لا تخطر على البال.

إن المشي قدرٌ لا يمكن الفكك منه، وحتى الشجرة التي تدعي الوقوف هي ملاك يركض، ويحمي سوءته بيديه الشاحبتين!

فيا أصدقائي الذين لا يكفون عن العطاء! أنتم أيضا، امشوا في وقوفكم، ولتمتد ظلالكم إلى أنأى حقل! لكن لديكم الرغبة في أن تكونوا المشائين الجدد، تلقون الحكمة كالحبز للجياع، وتضعون المشي كشريرة لا تقل أهمية عن الصلاة والصوم. وتذكروا دائما، في مشيكم، أن المشي قميص آخر للوقوف لا غير.

المشي والوقوف أخوان توأمان، وإن تعاركا وتشاجرا وتنافسسا على الأفضلية.
(الأفضلية تكمن في قيمة الحصاد المأمول فيه).

فلتمشوا، ولتقفوا مستجيبين لحكمة القلب، ولداء الزرقة والحرارة. وما أسعد الواقف وظلاله تتواجد في مكان آخر! وما أسعد الماشي الذي لا يبرح مكانا إلا ويترك خلفه نعمة للآخرين!

المشي قد يدهس نملة وقد يوفّر هواء، والوقوف قد يحفظ وردة تائهة في الطريق، وقد يعطل أفقا.
أنا الواقف/ الماشي.

أمشي: تجلس اللغة في داخلي، لترتب بيتها وتنمق طاولتها بباقات الأزهار.

أقفُ: أتأملُ اللغة في استوائها الناضج، تتأهبُ كي تكون صديقة محبة،
تقاسمني الصمت والتمهل المثمر.

أمشي لأحصد.

أقفُ لأراقب الحصاد.

77

الأمُّ معولٌ لتشذيبِ عواء الروح. الأمُّ نارٌ تصهر اللاأضروريَّ من حياتنا،
وتُبقي فقط على الحكمة.

87

كان لصرخة نيتشه «ماتَ الله» أثرٌ كبيرٌ في المدينة إلى درجة أن العديد من
الناس حدّقوا في القولة، وظنوها ندبا على وجه الوجود. استغربوا من الشجاعة
الوقحة التي تطل من عيني الفيلسوف. لم يصدقوا أن ثمة فمًا بشريًّا رثا كتوب،
يستطيع أن يصرخَ ويصرح بهذا الإعلان في غير ما رهبة أو خوف.

ترى ماذا سيفعل المؤمنون بعد أن نضبت السماء، ولم تعد للصلاة جدوى؟
هل سيغلقون المعابدَ بمفاتيح الغباء؟ هل سيرتبون صلواتهم في رفوفِ النسيان؟
وهذه الأمعاء التقيّة؟ هذه الظلال التي لم تذق طعم الشمس؟ ما مآلها؟ أين المواعيد
الثرية التي تحفل بها السماء؟ أين النجمة التي كانت ترعى لياليتهم؟

لقد ذابَ الملح. ذابت ثلوجُ التوسُّل. لا عزاء بعد اليوم إلا انتظار الفراغ
ووليمة الفراغ!

79

الله موجود، لأنه يتقن لعبة الاستغماية!

80

اصمت!

علِّمتُ نفسي. أما أنتَ فكنتَ عجينةً طيبة في أيدي الآخرين.

81

كلماتهم متشابهة؛ وكأنها أحذية الجنود أو الفلاحين في زقاقٍ موحل.

لا يخلدُ إلا من يُوقَّع وجودَه بوردة أو سنبله.

إلا من يكون صوته ربيعًا وافرَ السنونوات.

82

شيءٌ ما جارحٌ يجعلك تبتعدُ عن أولئك الذين يبحثون عن الأجداد الدنيوية.

تشعرُ بالجزع لأن كل هذه الطموحات ثلجية باردة لا طعم لها. وتحدك في أيامك

كلها تفرُّ بحثًا عن منفى بمقاعدٍ مريحة. تجددك لا تسمع. تحشو أسمعك بقطن لا مرئي يقيك من ضوضاء الآخرين.

لست المسيح لتقول: مملكتي ليست هنا، بل في السماء! فهو قد لمس، على ما يبدو، جفافا محرجا في الكون، فتلمس جواهره في ملكوت علوي. لست مثله، لكن لست أيضا، كالآخرين الذين يلهثون كالكقط الطينية خلف الأجداد التافهة. إنك تقيم هنا، وتود أن تبني مجدا يخصك وحدك. مجدا ينتمي إليك خالصا. مجدا بسيطا للغاية لكون الفراشة.

تصغي إلى الغوغاء. اللهاث القبيح والمتعجل. التعالم والانتقاد السطحي الذي لا يقنع خلية واحدة في جسدك، ولا يُدخلُ روحك إلى فردوس هادئ.

وحتى أولئك الذين يظنون أنفسهم فرسان الحياة، ويملكون معرفة مختلفة بالواقع والحياة. حتى هؤلاء تلمس فيهم، وفي كلامهم سطحية فجأة، زعانف سمكة ميتة، بل تشعرُ بالقبح يسبُّ كلامهم، لأن فيه ادعاء. فيه غرور شرير وفاضح.

أنت تقيء، لأن المتكلمين كثير، والواعظين كثير، والعازفين كثير والأوغاد كثير، والمتبجحين كثير. أنت تقيء، لأنك لا تجد صوتا يفهمُ أذنك!

مملكتك في الأرض. مملكة لا يدخلها الآخرون. إنها لك وحدك، تقيم فيها مستأنسا بفضاءات كونتها بجمرة الروح وعمق الإحساس. أنت اخترت أشياء

تؤنسك في الوحدة. تتابع ما يقولون وما ينمقون من كلام. تشم رائحة الموتى
تفوح من الكلمات. تسمع كثيرا لكن أذناك لا تحفل بالنفائيات وإن زوّرت أثوابها.
لا تحفل بالتعلم، بالمعرفة الزائفة، بالخبرة المفضوحة.

تجلس.

تحديق.

تقطف الحكمة من أفواه الصمت.

83

لا يمكن أن تدخل جنة المرأة إلا بعد مفاوضات قاسية مع جحيم غباؤها!

84

المومس مُكلفة أكثر من الزوجة.

أتفهّم الآن تحمّس الشرفاء والفضلاء والأتقياء لفكرة الزواج.

85

لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن أستمّر مع امرأة لا أجد فيها صدى
لكلامي.

من حقي أن أطلب الوردة بالأريح، مادمت أقضي حياتي ساهرا أقرأ سماواتها.

86

كثيرا ما رغبتُ في تشريحِ حالتي، كما يفعلُ الطبيبُ الماهر مع الجثة،
والبستاني مع وردة بريّة، بيّد أنّ جبني وخوفي أمام مغامرة التجرد التام من الأزياء
والأسماء، كأنّ يحول دون ذلك. إنّ الحيادَ المبالغ فيه يُعرضنا لفضيحة البياض،
فأن تكونَ أبيضَ تماما كتلج فاجرٍ: أمرٌ لا يستسيغه قلبٌ ولا عقل. حتى الملاكُ
لا يفكرُ في الحياد كموقف سلمي، والشيطانُ نفسه يجدُ في الانحياز بلاغة ممتعة
تدعوهُ إلى الفرح والسرور.

لقد عشتُ بعيدا كلّ البعد عن تشريحِ حالتي، لأنّ تلؤني اللامحدود، وتواطئي
الملحوظ مع الاستعارات، لا يسمحُ بكشفِ أفقٍ واحدٍ من آفاقي العديدة. كانت
لعبتي الأثيرة منذ صباي هي أن أختفي عني وأبحثَ عني، ولا أجدني !

87

هذا العالمُ مريضٌ، ليس لأنهُ فارغٌ من الجمال، أو لأنّ الورودَ باهتةً فيه،
مستعدة للذبول في أية لحظة، أو لأنّ الشمس لا تُسعدُ النوافذَ الغافية.

العالمُ مريضٌ، لأنّ الجمالَ فيه أنانيٌّ، باردٌ، قاسٍ جدا، منغلّقٌ على ذاته، ولا
ينبسُ بجملةٍ واحدةٍ قد تعيدُ ترتيب الخيالِ والروح.

العالم مريضٌ، لأنَّ الإنسانَ يَسعدُ وحده، ويتألم وحده. ولأنَّ الآخرَ فارغٌ لا
رغبة له في أن يقاسمكَ رغيفَ المودة، كأن يمرَّ عليك سائلاً:

ألدبك ألمٌ هذا النهار؟

دعني أقاسمك الألم يا صديقي!

88

كي تقهرَ الموت، تصوّر أنّ القبرَ رِحْمٌ آخر سيجهزك للولادة!

89

هل سيعاقبُ الله الأسدَ لامتلاكه الأنياب والمخالب؟ أم هل سيجزي الوردة
يا ترى على طراوة عبيرها؟!

90

لمَّ يصلبَ المسيحُ كما قيل. ما صَلِبَ في الواقع: كان حُلْمناً ورغبتناً في بحور
السَّماءِ. وهذه الدماء التي يُنظرُ إليها بتقديس، لكم تشبه مجانية الماء في نهر
وحشي!

إنَّ الدِّماءَ لا تَكْفِي لفتح مَعْبَد.

19

ألمي صلاةً مرفوعةً إلى اللاَّ إله!

92

نملكُ نفسَ الضوءِ ولا نملكُ نفسَ الظلِّ.

93

ماذا لو كانت انتصاراتك كلها مجرد ثمار تقطفها من حديقة الهزيمة؟

94

لم تكن هناك ثمة آلهة تُلمِّعُ لي البروق. الغيمة لا تحترف الحدادة. لم تكن هناك ثمة سماوات تكفي لإطفاء حنيني العاري إلى المجهول.

نظرتُ من حولي.

عُرِّي كثرمر فَرِح.

سِلَّالٌ فارغة.

أبدية عارية تستعينُ بقمماش الغبار.

95

ذلك الذي لا يملك ربا يخاطبه في خلوته، لا يختلفُ عن الشخص الذي يقطن في منزل مجرد من حديقة تحفُّ عنه عزلة الجدران.

الربُّ في هذا المعنى هو: حديقة الشكوى!

96

للكوكِ نوافذُ يطلُّ العقل منها.

97

هل أصبحت عبارة «لا أعرف» ثقيلةً على العقل والوقت، ككيسٍ يحمله عامل فقير بمشقة؟ ثقيلةً على الأذن، لا تنعم بالوشاح الفلسفي الباذخ الذي تجعل فيلسوفا يرطن بما وهو يمضغ صمته ككسرة خبز؟ هل أصبح تجنبها أمراً بدهياً كسنبلة بسيطة، كعصفور بمنقار حاد، كليلة يتيمة؟ أ أصبحت عارا لأنها لم تعدُّ تعد بشيء؛ لا احترام ولا مكانة ولا وردة في عروة قميص؟

قديمًا، كانت «لا أعرف» وساما. وردة معرفية توضع في عروة الروح. كانت (لا أعرف) بمثابة البذرة التي نقذفها في رحم الأرض، فتنبت سنابل كافية لإطعام قري كثيرة.

قديمًا، كانت عبارة فلسفية رصينة تعلق في عنق كلبٍ كجرس مهم. فماذا حدث حتى أصبحت لافتة يفترُّ منها الجميع فرارهم من كابوس أو فرارهم من غُواء الحلم.؟

والأدهى والأمرُّ أنهم يفرون منها، ليس لأنهم يعرفون حقا، لكن لأنهم واجهة جديدة لعصر فارغ. عصر يموتُ تحت أقدام التفاهة.

(النعْلُ فرسٌ جديدٌ يركضُ في مساحة غبار).

العاشقُ يقولُ: لا أعرف، لأن المرأة وردة لا تمسُّ لا بالعقل، لا بالقلب. العطر جلدٌ لامرئي.

العالمُ يقولُ: لا أعرف، مادام لم يختبر سُمْكَ الظل، ولا يملك آلة تؤهله للتعلم من واقعية النجمة.

العابدُ يقولُ: لا أعرف، لأن الصلاة قماشٌ لا يسترُّ جسدَ الجهل.

الشاعرُ يقولُ: لا أعرفُ، لأن هوية القصيدة غابة تتناسل، ولأن القصيدة قد يحملها إليك عصفورٌ متواضع، ولا يحملها إليك ملكٌ مدججٌ بسلطاته وعروشهُ.

النفري يقول: جهلٌ فيه معرفةٌ خيرٌ من معرفة لا جهل فيها.

يعني: قف أمام النبع واستشعر العطش!

يعني: خبئ الغيمة في كيسك واشحذِ الماء!

يعني: اللؤلؤة التي تملكُ حقاً، هي لؤلؤة الروح التي لن تطعم أطفالاً سيكون.

هكذا ينبغي أن نكون،

أن نسعى بقوة الروح إلى أن نعرف، ونظل هكذا أبداً.

أن نكونَ «لاشيء» بتعبيرِ فيرناندو بيسوا.

النفاية الجميلة التي قد تكون أفضل من مزهية مغرورة!

هكذا يجبُ أن نكون.

اعتزَّ الحملُ بصدافته الجديدة التي لم يسبقه أحد إليها من بني جنسه. صداقة غريبة جعلته يقفزُ وينط ويثغو فرحا بين المروج. صداقة جعلته ينظر إلى محياه على صفحة النهر، ويهمس لنفسه معجبا: يا لمهاري!

بثغاء وعشب وود استطاع أن يستميلَ عواطف الذئب؛ العدو الأول لبني جلدته ويربح صدافته. وقد تعجب الذئب نفسه من جرأة الحمل الغريبة. في البداية ظنَّها وقاحة لا تغتفر، وجرأة غير محمودة، لكنه اكتشف، بمرور الوقت، أنَّ الحملَ غريزٌ بالفعل، وأنَّ قلبه طيبٌ جدا لا معرفة له بخبايا الأمور، وأن إقباله على صداقته هو إقبال بريء لا تشوبه شائبة.

وقد قال له الحمل ذات يوم:

أرجوك أن تصدقي القول دائما، ولا تعاملني بغش وخديعة. متى نويت افتراسي أخبرني بذلك حتى أطمئن!

وجودُ الشيطان في الثقافة الإنسانية وجودٌ تبريري فقط. عندما يفشلُ الخياط في احترام المقاسات يتحدث عن رداءة القماش!

100

أيها الوعاظ !

الجنة قد يعكّر صفوها طيشُ ذبابة، والغالبُ أن رأسي سيجد أين يسند ظله
بعيدا عن مواعظكم!

101

يمكن للاعوجاج أن يكون نفسه استقامة. كيف ؟

يعلمنا ابن عربي أنّ القوسَ في اعوجاجه، يكون في منتهى الكمال، وأنّ
تقويمه يؤدي إلى كسره.

102

نحتاجُ إلى جرعةٍ أخرى من الجنون في عالم بليد يغتالنا بشكل متكرر وبطريقة
تبعث على السأم. نحتاج إلى الجنون لأنه يخلصنا من اسمنت الوقت والتكرار،
ويسمح لنا بالصرخ في جميع الاتجاهات. يسمح بارتداء أقنعةٍ تغرقنا في المتاهة.
في لعبة المرايا المشتتة. يسمح لنا بأن نلعب، نتبادلُ الأدوارَ، ونبتكرُ السيناريوهاتِ
العفوية.

نحتاج إلى الجنون الذكي! ففي الجنون تستمر الأفتعة في التناسل. تستمر يدي المرتعشة في إيقاد شمعة باهتة تُضيء ما حولي بالقدر الذي أريده. القدر الذي يوضح ولا يغرق في الأحجية. تستمر يدي في كتابة مسرحيات ألعب فيها جميع الأدوار: البريء والمتهم، الطفل والعجوز، القاتل والضحية، الممثل والجمهور.

(كلُّ هؤلاء أنا، ولست أحدا منهم).

نحتاج إلى الجنون حيث الانسحاب إلى الورا فضيلة. أنسحب إلى الورا وأنظر إلى مسرحياتي، إلى دُمائي ترقص وتن. تفرح وتبكي..

لا بد أنَّ المخرج قد جُن!

103

أغبي عبارة نصادفها في تاريخ الأقوال المجانية التي تدعي الحكمة والسداد:
(يحترق ليضيء طريق الآخرين)

يا لبلاهة القلب! ما دمت تحترق فلتحرق الآخرين.

احرق العالم!

104

لا نكونُ أحياء ونحْنُ نشكو من المرض. المريضُ لا يعرفُ الحياة إلا بوصفها
زائرة تجلسُ قربه على طرف السرير.

105

أجدُ صعوبةً في أن أسمعَ مَنْ أسأتُ إليه!

106

لم تقدم الطبيعة، منذ وجودها، جواباً واحداً. والمطمئنُ المهلّلُ للسكينة يعتبرُ
الفراشة جواباً!

107

بمجرد ما تقرأ لسيوران، يتولد فيك إحساس طاغ لا يفارقك؛ أنّ الرجلَ وُلدَ
ميتاً، وأنّ جميع كتاباته ومؤلفاته لم تكن سوى إعلانٍ عن وفاته.

108

نستطيعُ أن نتحرر، فقط إذا كسرنا مرآة الآخر فينا.

109

ما يجرُّ النفس ويدميها؛ أن العبد لا يلتمس منك أن تحرِّره من قيوده، بل
أن تطلي جدران سجنه!

110

أحلم بعالم ينتعل فيه الملائكة أحذية الفقراء.

111

لا مجد للشمس.

لا مجد للريح.

لا مجد للعروش.

المجد فقط للإبرة التي ترقع ثوب الفقير.

121

أيها الأعزاء!

أخطائي تتأهب للاحتفال.

أخطائي تنأهب للرقص!

113

أنا الملفوفُ برداءِ اللغة، سيكون فسقي لغويا، وستكون تقواي لغوية!

114

الفرقُ بين صلاة الشاعر وصلاة عموم الناس، كالفرق بين الروح والجسد. صلاة العوام مجرد زي. مظهرٌ يومي لا يختلف كثيرا عن العباءة الصيفية، والتحية الباردة. إنها درعٌ يتقي به المرءُ شرا متخيلاً. إنها تقربُ زائف لا يحتوي على جمالية. بينما تنتصبُ صلاة الشاعر في العراءِ القاسي كقطرةٍ تفيضُ بالحياة والانطلاقِ البريء.

صلاة الشاعر إبداع. خروجٌ عن المؤلف. طاقةٌ كامنة تتفجر.

من هنا، كان ابتعادي عن صلاة المعبد التي ليست سوى قالب، أو قيد يعنُّ الراهب- راعي القطيع- في تلميعه. قربان يومي لسماء فارغة. وباء ينخرُّ الأرواح.

وإذا كانت الصلاة العمومية مجرد قالب ومجرد شكل، فما حاجتنا إلى وباء التكرار؟ هكذا يتساءلُ الشاعر الذي لا يؤمن بالتكرار، ولا يؤمن بالاتباعية، ولا يؤمن بما يقيدُ عفويته وسروره الصباحي.

ربما وردةٌ تفتتحُ قربَ نافذة أفضل.

ربما أفقٌ يمدُّ ذراعيه من وراء غيمةٍ أفضل.

الشر كلُّه في الصلاةِ يتمثلُ في التكرار والعدد! صلاةُ الشاعر إضافة نوعية.
هواءٌ جديد. غرفة بينيها بأحاسيسه، بتطلعاته.. ولهذا تجدها بهمة دائمة، لا ينالُ
منها الصداً ولا الغبار.

صلاة الشاعر كالقصيدة. نشيد. رقص. صلاة واحدة فقط، لكنها تغطي
مساحة سنوات، وتجعل الآلهة ترقصُ فرحاً.

إن الشاعر يبشر من جديد بما يحرر الإنسان، بما يجعله حراً طليقاً، لا يعبأ
بما يأتي.

صلاة الشاعر تبدأ بالتدمير الأولي لجميع المعابد.

المعبدُ حجر.

الصلاة نبتة.

الصلاة رفض

الصلاة صرخة!

115

الوحدةُ تساعدُ على فهم المتعدّد.

116

قد أكونُ جواباً لأيِّ شيءٍ إلا لنفسي.

117

تكلّمتِ السماءُ ولم تجِدِ سمعاً.

صمتتِ السماءُ، ولم تجِدِ فمّاً يكلمُها.

118

لا يقبلُ الله الصلواتِ المتشابهة.

الصلاةُ هوية.

119

للنقائصِ ثمار.

120

لتستريح في موسم الحصاد، لا تزرع شيئاً!

121

لا أحجل من ظلي، لأنَّ الشمسَ البهية، هي من جعلتني أرتكبُ الظل.

122

لكل شيء في الوجود ظلٌّ إلا الشمس.

123

ربما كانتِ الشمسُ ظلاً لحقيقة سامية.

124

فوضى الربيع ترتبٌ غنيٌّ لأصواتنا.

125

ما هذا؟

شياطيني ملائكةٌ تهدي الآخرين.

126

لا نحتاجُ إلى ملائِكٍ شريرٍ.

نحتاجُ إلى شيطانٍ طيبٍ!

127

وحيٌّ ينزلُ مقرونًا بـ"لا"؛ "لا" الغاضبة والقاسية.

تلكُ أمنيةٌ نبي تترطمُ أمعاؤه بحلقه، مدعوماً بحظوظٍ وافرةٍ من اللعنة.

128

يهاجمونه. سباب. لعنات. أفواه تطاردهُ، وكأنه راقصٌ تسلل خفية، وأباح
حُرمة المعبد. السماءُ نفسها لم تتخلف عن حفلةِ الحقد. كلماتٌ سيئةٌ تجرُحُ أناقةَ
الهواء. كلماتٌ موجهةٌ كسهامٍ محترفةٍ لا تخطئُ هدفها.

يهاجمونه، لكنه يظل على ما هو عليه، لا يجيد عنه.

يُشعلون حرائقَ يتدفأ بها!

129

أيها العبد!

مبارك لك الصّحة والعافية.

أنا المريضُ بالحرية.

130

إن كانَ العطرُ فضيحةً، فأهلاً به.

131

أفكاري بلا رؤوس، لكنها تزرع في سبيلكم الخطوات!

132

عادةً ما يُدهشُ المقدّسُ بشراراته، لكن هذه الشرارة تتحوّلُ إلى حجاب يعيقُ

الفهم.

133

قد يكونُ الشيطانُ مجرد تسميةٍ لا غير، لشيءٍ نخجلُ من تسميته بوضوح.

134

الحكيّم لا يتهمُ الحجر.

135

لا مجد لنبيّ في وطنه.

هكذا يُقالُ. لكن لا مجد له حتى في المنفى.

136

حدثته عن الفلاسفة والشعراء والفنانين، فهتف بحدة:

هؤلاء المرضى من أفسدوا معنى الحياة!

137

من قناعات أبي حيان التوحيدي: يُطعم النار بمؤلفاته.

النار تستحق القرايين الفكرية، والمجتمع البصاق.

138

أنا المهووسُ بالخسارة، سأزرع العاصِفة، وأنتظِرُ محصولًا وفيرًا!

139

سعيدٌ هذا الهواء.

لا يحملُ عبئاً، لا يكتبُ سرّاً.

140

هكذا هو البحرُ في غفوته.

مجرد سمكة.

141

رهانٌ باسكال دليلٌ آخر على إفلاسِ الخطابِ الغيبي: لن يخسر المؤمن شيئاً،
والكافر هو الخاسرُ الوحيد في اللعبة.

عندما يصبحُ القمار طريقَ النجاة!

142

أرقى درجات اليأس:

أن تصرخَ في وردةِ الأمل: آه، أيتها القحبة!

143

مجدُّه حصي.

مجده تراب.

ألا دعوهُ يفلسِفُ التراب.

144

يدعونني عادة إلى الجنازات كأنها أعراس. وأنا مدعوما بنشاط خلاق وفكاهة
مريرة، لا أحضرها إلا مباركا ومهنئا!

145

ما أحوجنا إلى نبي لا يدعي امتلاك الحقيقة!

146

البكاء عري محتشم.

147

أحزاننا: تدويناتُ صفصافة.

148

الحزنُ والفرحُ كتابة شعرية عندي، ونثرٌ عند الآخرين.

149

إذا كنتُ أحبُّ النوم، وأهرعُ إليه بكل تقوى، فلأنني أبسط شبكتي البسيطة،
وأنتظر غيمة تعلقُ بها.

أنا صيادُ الغيوم!

150

خادمٌ أنا.

خادمٌ في معبد هجرته الآلهة!

151

قد تلدُ الشجرة المبصرة ثمرة عمياء!

152

الجوع = السرقة.

مُعادلة سليمة، تكادُ بسلاستها تُضارِعُ الشمس.

أما أولئك اللائمون المتدينون، النائمون على سرير الأخلاق في دعة، فلا
حديثٌ معهم.

من ذا يستطيع أن يعاتب عصفورا بيني عشا من قش مسروق؟

153

واهمُّ من يظن الحقيقة مجانية. حتى الخبز لا يُعطى مجاناً، فكيف بالحقيقة؟

154

أظن الحقيقة، لا تسطع هكذا بهمة خالية من زيف وكذب. إنها أرضية "جدا" تنتمي إلى فساد الكون، وتحتاج إلى من يلمع ذهبها بحنكة وتجربة. تحتاج إلى من يخدمها بوفاء متفرد لا يشبه وفاء الكهنة القدر.

تحتاج إلى من يكنس طريقها بمكنسة الشك.

155

كم من الأعباء يتحملها الليلُ ليلدَ نجمة واحدة!

156

أريد أن أكرهَ كرها لا مزيد عنه. أن أصل إلى الحد الأقصى للكراهية. أن أنهك قواي في تمارين الغل والحد. أن أكون ممتلئاً متخماً تماماً. أريد أن لا أجيب إنساناً إلا بمعدة تشرفُ على التقبؤ.

القيءُ بديلاً عن اللغة!

157

لا أريد أن أقول يوماً ما:

جرحني الحب، أو تعافيتُ من جرح الحب.

ما يعتبره الآخرون تاجاً،

لا أراه إلا نعلاً أنتعله بمرح في الصبيحة!

158

يشحذُ المدحُ ليصنعَ مرآةً لنفسه. يشحذه بالبحاح، ولا يكتفي بمدح الناس، بل يتعداه إلى الأشياء كيفما كان نوعها، وكانت طبيعتها: وحل، فكرة، طاولة، زقاق، عربة شتائم! وواضحٌ أنه في صميم شخصيته غيرُ مكتمل. ثمة نقص يستشعره، ويعوضه الكلامُ الذهبي الذي يحف بأعضائه.

يشحذُ المدحُ لأنه لا يرى أفقه إلا من خلال رماد الآخرين، ولا يرى شمسَه إلا إذا أشرقت في عيون الآخرين. وخطيئة الحاجة إلى المدح هي ما يجعله منتفخاً، هكذا، انتفاحٌ بالون في سماء طفل. هي ما يجعله يترفع عن الناس، ويضع تيجان النجوم البلهاء على رأسه.

يا لها من خطيئة بغیضة ترافقه في جميع جولاته البهلوانية! ولا يمكنه التخلص منها إلا إذا عرف قيمة الصباح والحديقة والمسرح. إلا إذا أحس بامتنان عميق تجاه المسرح النفسي الذي يعرض ظلاله الشوهاء (المسرح الذي يعرض نقصاننا الجميل). إلا إذا اتصف بالطيبوبة كجمهور متواضع يتفرج على جروحه، ويضحك ويصفق!

إلا إذا وعى أن الوحدة من تصنع المجد وليس المرأة المتعددة.

أنّ النوبيّ الفذ من يصنع من الأفق نمرقةً، ومن الموجة لحافاً.

159

الخيال الذي يسابق المجرات ويصطاد الكواكب.

آه يا صياد السماء!

160

نقل سيوران إلينا نصا ساخرا عن محادثة جمعته بأحد الأشخاص المجهولين؛ يتأسف فيها- الشخص- على كثرة الآلام التي يعيشها. وهي آلام يعتبرها مجانية يعانيتها دون أن يستفيد منها شيئا؛ لأنه ليس بشاعر كي يتصرف بانتهازية محمودة؛ ويستثمرها في بناء سماء شعرية.

قد تكون المحادثة متخيلة، أو واقعية أُجْرى عليها سيوران تعديلاته، كجراح
بقفازٍ أسود. ونحن بدورنا لن نرتدي الكسل. سنُعْمِلُ مشرطنا الشعري في لحم
الواقعة ونعدّلها بما يخدم أفقنا أو أريكتنا اللغوية. سنعقبُ قائلين:

إن ما يدعو حقا إلى الأسف هو أن تكونَ شاعرا، ثم يجعلك الله تعيش
آلما حقيرة لا تصلح أن تكون مادة فنية!

161

صلاقي خرقة بالية، وفي ذلك مجدي!

162

كلُّ الَّذِينَ دَسَّنُوا تَارِيخَ السَّمَاءِ لَمْ يَعلِنُوا يَوْمًا عَن اسمِ سَليمٍ لَنَمَلَةٍ.
لَكِنَّ النَّمَلَ مَفْتَتِنَ بِإِنجَازَاتِ الحَوَاءِ.

163

حتى أنا لي هذه السعادة الخاصة. أنا الذي يعيشُ بلا صلاة، يلذ لي أن
ألاحظ هؤلاء الذاهبينَ إلى أوهامهم، يجررونَ الصلواتِ كالسراويل المضحكة.

164

الله..؟

حين ينتهي الكلام، يبدأ هو!

165

لا تصدِّقُ نبيا يبشِّرُ بالطمأنينة!

166

مساحةٌ ذنوبي لا تكفيني. إنني ضالٌّ وأستهلكُ ضلالتِي بشراهة غير مسبوقة.

167

أتمنى أن أعيش مثل حيوان شريف، أسنُّ أخلاقي على ضوء ما أعيشه. أما أكاذيبُ الإنسان، وتطلعاته الأخلاقية، فليست سوى مزبلة تثيرُ السأم والألم.

168

إنَّ الملائكة التي تحترمُ نفسها لا تُضيع وقتها في محاولةٍ هدايتي!

أنا الإغواءُ الحر،

والضلالُ الحر،

والحقْدُ الحر.

169

أرؤني سمَاءً واحدةً تُعَلِّمُ كلمة: لا!

170

ما تراه. كلُّ ما تراه من مظاهر الكون، ليس إلا فكرة مشوشة في دماغ كائن،
استفاق للتو من نوم ثقيل!

171

من منكم باعَ سنينَ عمره كتاجرٍ سيء؟

أنا فعلتُ ذلك، بشجاعة أو جبن ربما. كان الأمرُ عاديًا وبسيطًا، كأنك
منفصل عن عمركَ تماما. كأنَّكَ تبيعُ أقمشة أو أثاثًا مُستعملاً. قبضتُ المال،
وأنفقتُهُ على الخمر والمقاهي والسجائر الرديئة.

وبضمير مستيقظ أكثر من اللازم، وفَرْتُ بعضَ المال. القليل من المال لتسديد
أجرة حفار القبور!

يقولون عادة:

يجب أن نضحى ونبدل الغالي والنفيس. أن ندفع ثمن كذا وكذا..

ألا يستوعبون أن مجرد وجودنا هنا وسط القرف، مجرد وجودنا في هذا العالم هو أكبر تضحية؟

نحنُ قربانُ العبثِ والصُّدفة!

المسيحُ أنفق حِكْمَهُ لغاية كبرى: أن يعيدَ الحملَ الشاردَ إلى القطيع!

يا لها من خدمةٍ روحيةٍ بائسة! أن تُكَوِّنَ مجموعةً من الخانعين، ينتظرونَ الخبرَ اليومي في الأقفاس. أن تخدمَ قلوبا جريحة في حاجة إلى ضماد يومي. مُستشفى لغسل الذنوب. كيف تحوّلت كلماتُ هذا السيد النبيه إلى مصل مقيت؟ كيف استساغ السيدُ أغاني الصليبِ القدرة؟ التأوهات المتصاعدة من حناجرٍ مهدمة؟ أما كان حريا به الامتناع عن إنشاءِ قطيع حتى ولو كان قطيعا من المتمردين؟ لأن اتفاق المتمردين أمرٌ غير صحي بتاتا. أمرٌ يخرجهم من مجد التمرد إلى ضعة الاتفاق! الاتفاق داء. والمتمرد الذي يعلن موافقته على شيء، يُفرغ نفسه تلقائيا من النار المقدسة والصرخة المقدسة!

أما أنا، فلن أعيدَ الحملَ الشاردَ إلى القطيع. سأساهم في ضياعه، وأعينه على ذلك!

174

إذا لم نكنُ نعدُّ توأبينا كما نعدُّ فطورنا الصباحي، وبنفس الهمة والأمل. وإذا لم نكن نزيئُ مقابرتنا المستقبلية بزنابق إقبالنا النهيم على الحياة. إذا لم تكن لدينا هذه النظرة التجاوزية التي ستقينا من ترهل الأخلاق، هذا التفاؤل الجاد الذي لا يتعامل مع الحياة إلا بوصفها لعبة تثير شهية الطفل، فلا يمكن الحديث عن غد فارغ من الشقاء.

175

أنا النجارُ الذي يلتدُّ في أخذ مقاساتِ الموت، ويصنعُ التواييت بفرحة لا تضاهي.

176

قال أحدهم:

كَي تَكُون، لَا بُدَّ أَنْ تَنْزِعَ رِداءَ الْعَقْلِ، وَتَحْتَسِي خَمْرَةَ النَّزْوَةِ، فَالْحَيَاةُ رَاقِصَةٌ لَا يَرَاهَا إِلَّا السُّكَّارَى!

177

بعضُ الحقائق يفضحها ضوءُ القنديل، ولا يفضحها ضوءُ النهار!

178

-تؤمنُ بالله؟

-نعم.

-تملكُ دليلاً على وجوده؟

-الحقيقة لا.

-كيفَ تؤمن بشيءٍ لا دليل على وجوده؟

-أؤمن بالله كضرورةٍ جماليةٍ لا غير.

179

الديانات تكلمت عن الله بلسانٍ أعمى.

المقامر، في شغبه المرضي، أقرب الساعين خلف الحقيقة إلى الحقيقة. إنه يستعمل الهواء كقناع، وينظر من حوله فاحصا. ربما يبتسم الأفق له أو يغمز له المكان. ربما سعلة مفاجئة تحملُ الحظ في ثناياها.

انه يمرن نفسه على اصطياد الحظ. جِدُّ وَصَبْرٌ لا مثيل لهما. شبكة مبسوطه بعواطف مشوهة. سعي أبدى في خياشيمه. ينقل بصره بين مختلف الخيارات التائهة. كل الخيارات في اليد، ولا شيء في اليد!

المقامر بحسه المرضي يدرك أن الحقيقة مجردُ صُدْفَة، نمرن أنفسنا على اصطيادها.

لَا يُؤْمَلِكُ مِنْ يَشْتَمُكَ، وَلَا مِنْ يَشْهَرُ الشوكَ فِي عُيُونِكَ. لَا يُؤْمَلِكُ إِلَّا مَنْ يَقِفُ كَجِدَارٍ فِي طَرِيقِكَ إِلَى نَفْسِكَ.

العَدُوُّ الحَقِيقِيُّ جِدَارٌ!

182

إنني نقِيٌّ إلى درجة أنني أعتذر عن أخطاء الآخرين، وقد أندم باكيا لأنهم ارتكبوها!

أَيُّ ملائِكٍ غريبٍ يسكنني؟ هذا الذي يبكي، لا لأن جناحه مكسورٌ، ولكن لأنَّ الآخرين بلا أجنحة. هذا الملائكُ الذي لا يجدُ حرجاً في أن يزورَ قبرَ الشيطان، ويصلي لأجله!

183

يمكنُ للفلاح المتعب أن يفِيء إلى ظلي، وأنا واقفٌ بمحاذاة الحقل.

184

فرحةُ البُلهاءِ لا تعنيني.

أبحثُ عن الفرحِ الذكي.

185

ما هذا العالم! حتى الراحة تحتاجُ إلى جهد!

186

هذه فلسفتي في الحياة:

كنتُ أحلُّ مشاكلي باختلاق مشاكل جديدة!

187

أنزف لا لأحصل على دواء، بل لأعرِّي عورة المعنى، لأكشف تخوم المجهول.

ولأحقق اكتفائي الذاتي، أسالم نفسي. وتحت نخلة حزني أجلس متسولا لا

يطلبُ صدقة!

188

بَيْنَ الإباحية والعفة نَارٌ لَا تَحْبُو.

لَكِنْ يَا مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ

مَا رَأَيْكُمْ فِي إِباحية الروح؟

189

لم يكن الماركيز دو ساد إباحيا ولا فاجرا في كتاباته الجريئة.

كتاباتهِ مجرد شهوة وردةٍ مارقةٍ تعرت قبل حلول الخريف!

190

الإباحية آخرُ متاريس الدفاع عن الحياء!

191

ربما ما تعتبرهُ الريح نفاية، هو في أصله جوهرُ الأشياء.

192

يملكُ المؤمنُ طاقةً كبيرةً تُعينهُ على التزييف، لأنه، كما قال نيتشه، يريدُ أن يؤمن لا أن يعرف. وحين تسطعُ حقيقةُ أمام عيونه؛ حقيقةً لا تتماشى مع أصنامهِ، يعملُ على دهنها بماء العاطفة، تحويرها بدهاء، ليّ عنقها دون رحمة حتى تبدو باهتة تُخدم نزوعه العاطفي.

أكبرُ مُزيّف عرفهُ التاريخ، ويعرفهُ الحاضر وسيعرفهُ المستقبل هو المؤمن. إنه يُزيّفُ كل شيء: الواقع. الأشياء. العالم.

إنه يزيّفُ حتى الله!

أشار المتنبي إلى حقيقة لا يمكن التغاضي عنها أو نكرانها:

الإنسانُ الحقيِرُ يُعظَمُ الأشياءُ التافهة، ويبجل كل ما هو تافه، لأن نفسه
المجبولة على الخسة تستعظم كل التوافه.

ولأنك في عصر الانحطاط، حيث العالم مقلوبٌ على رأسه، والقفا محل الوجه،
فلا بد أن ينالك الانحطاط شعث أم أبيت. المهللون سيكثرون كالطفيليات،
وسيملؤون آذانك بمدح الأمور الحقيرة، وتبجيل النواقص. وعليك أن تصم آذانك
أمام المدح الأجوف، أمام الصراخ المعجب بالإنجازات الضحلة. عليك أن تنجو
بنفسك من الحقارة، أن تبقى صامتا وتحتر النداءات الحقيرة. وصمتك هو الملاذ
والبرج الذي يقيك عاليا يقيك من الضحالة.

فابق حيث أنت، وكما أنت. تعتبر العزلة حديقة الأفكار العظيمة. تنظر إلى
الشمس وتبجل إنجازاتها.

أتأنق. أخلق ذقني. أصفى شعري. أناوش عبق الصباح. أرندي ملابس
متناسقة تشي برقي ونبل، وأبحث كمراهق الطرقات أن أجذب انتباه النساء. ربما
تسوق إحداهن سماءها خاضعة، وتقع في حبال كعصفور جميل.

لكن وخلافا لما أنتظر وأرجوه، فأناقتي لم تُثر سوى انتباه المتسولين الذين
أقبلوا عليّ كالذبابِ الصيفي يستجدون صدقة.

كم أكره المتسولين!

195

أولئك الذين يتصيدون أخطاءنا.

يُسعدنا إخبارهم أننا نتصيدُ صوابهم كطرائد نادرة!

196

الكذبُ الساحرُ أفضلُ من الحقيقة الغبية.

197

لا ينبغي للمرء أن يظنَّ بنفسه العمقَ والعظمة، فقط لأنَّ صوته يخلِّف صدَى
في الآخرين.

ربما كانَ الآخرون عبارة عن كهوف فارغة.

198

النبيُّ الأخيرُ للبشرية هو: الضحك. وبقدر ما تضحك بقدر ما تكون صالحا!

لا يكفُّ عن تمجيد نفسه.

ذاك الذي يقول: جهزوا حبرَ السماء!

الله عكازُ أولئك المؤمنين المشلُوي الوجود والإرادة والأفق، والذين لا يستطيعون أن يخطوا حُطوةً واحدةً إلى الأمام، دون أن ينتظروا جدارا يسندهم، أو يدا تحفظ توازهم، وتقيهم من لهب المغامرة. دون أن يبحثوا عن عيدٍ طفولي في قش شقائهم، وفي رماد أيامهم المتشابهة.

وإنهم ليحسُّون بنوع من الحقدِ على إنسان طليق الأفق، يمشي سليما معافى، ويفيض بصحة الشمس وفتوة الكواكب. ويصيحون به غاضبين:

أنت الذي تمشي هكذا كنمر وفح! لماذا لا تحتاج مثلنا إلى حكمة العكاز!؟

الحديقةُ ابنةُ الكون. لكن لا تشابه بينها وبينَ الكون، ولا تقاطعَ يسمح بتوحيد الرؤى وتوحيد المصائر. وكأنَّ الحديقةَ لم تحمل من صفات أبيها شيئا. ابنة متمردة تجدلُ شعرها باستهانة، ولا تعبا بتحذيراتِ الريح.

ربما التشابه الوحيدُ والتقاطع اليتيمُ، الذي يمكن تسجيلهُ بنوع من الشك والريبة والتحفظ. التشابه الذي لا يمكن أن يحصلَ إلا في عقلٍ مجنونٍ نشِط الجنونِ هو:

الكون يعجُّ بالزُّوَّار.

الحديقةُ تمتلك زوَّارًا.

غير ذلك، فالانفصال واضحٌ وبين.

يبدو الكونُ مجزأ؛ لا يُقدِّمُ نفسه إلا كُتُفٍ فقيرة: سنبله. حجر. مجرة. كوكب.. ولا روابطَ بين الأجزاءِ إلا ما تجوِّدُ به المخيِّلة. أما الحديقةُ فلا تقدِّمُ نفسها إلا ككلٍّ منسجم. ولو نزعَت عنها السياج، لوجدتها كامرأةٍ مطلقة، أو عشيقَةٍ فقدت ذراعيها بعد حب عنيف.

الكونُ: عبث. فوضى. خطأً في نُطقِ كلمة.

الحديقة: عطاء كامل. جملة مفيدة. فاكهة سهلة التناول.

الحديقة واضحة

وضوح الوردة

والشهوة

والفكرة.

202

منذ فجر طفولتنا ونحن نتعبُ في تفصيل رداءٍ للسماء. وفي نهاية العمر
نكتشفُ أن القماشَ مثقوب!

203

لن يحظى المبصر بالتمجيد في مجتمع العميان، بل سيُنظرُ إليه حتمًا كمجرم
يهُدّد سلامة الظلام، وسيُنظرُ إلى البصرِ كأداة الجريمة!

204

يا لعدلِ الأعمى!
يرى الأشياءَ بنفسِ العيون.

205

لا تكون اللغة معبرة عن مللنا الكوني إلا إذا كانت قريبة جدا من اللكمة،
وحبذا لو بقفاز حديدي!

206

«المجرمُ الذكي أفضلُ من البريء الغبي».

عبارة أرددها دائما، ولا أجد في داخلي أية رغبة في الإحجام، أو الاعتذار عنها. إنني أعتقد كثيرا أن ما من جريمة أكبر من الغباء. الغباء ينخرُ الوجود ويفرغه من معناه، ويجعله غير قابل للحشو والإصلاح.

الغباء: أن تسيج الماءً بخيط. أن تبحثَ للعصفور عن غابةٍ بحجم القفص، وتغني: ما أجمل الحرية!

ونحن الأذكياء الذين ننحدر من نسغ الجريمة. سنقول للسماء:

كوني أيضا إبرةً في قماش الخطيئة!

سنقول:

الغباءُ لا يمكنُ أن يكون بريئا أبداً.

نحنُ المجرمون الأذكياء!

207

الشرُّ موهبة، ولا يمكن اعتباره غير ذلك. ولا أقصد بالشر هنا: الأذى اليومي، والتفاهة المكشوفة التي يتقنها بعض الغوغائيين، بل الشر الخلاق الذي ينحو إلى الإبداع. الشر الذي يتجاوز التصنيف والتوصيف ولا تحبو بروقه وعوده بمرور

الوقت، بل يظل أسرا ساحرا. الشر الذي يلهمنا ويزودنا بطاقة. يزودنا برغبة محمومة في المغامرة.

إن الشيطانَ، هذا الشريرُ البديعُ، ما زالَ يُلهمُ الأرضَ بشرِّه الممتع، وصرخته القديمة: «لا» في وجه السماء بدون تردد أو تلكؤ، ما تزال تغذي العصيان الجميل والمثمر. ما تزال تُشكلُ الكتاب الذي يطالع فيه جميعُ الثوار والرافضين، وجميعُ الذين يتجهون صوب الفجر الغريب بخطى ثابتة.

208

بالله عليكم قولوا: هل رأيتم مُهرِّجا يبكي؟

209

أنا الذي يحولُ الحجر إلى عاطفة!

210

تعب وجهي من ارتداء الأقنعة، ولكن مهلا!

ماذا لو كان الوجهُ نفسه قناعاً؟

211

الله ذاته لا يكفُّ عن ارتداء الأقنعة من خلال الديانات!

212

على أهبة الاستعداد أنا لمدح قميصِ الشمس.

213

للأسف. البرقُ الذي كان معولا عليه لم ينكشف إلا عن نبتة ضامرة!

214

أيها المتكلم!

ألا يكونُ كلامك جرحًا في حضرة الأبكم؟

أما أنت أيها الأبكم، فكَم تبدي احتراماً عاليا للأصم!

215

الصَّمْتُ: جَحِيمُ الثَّرثار.

الضَّمِيرُ: ثروة الفقير.

الثروة: ضميرُ الغني!

216

الطفلُ يبصرُ شجرة، ويهتف:

يا لها من حديقة!

217

لولا الفراشة ما كان هناك معنى لضوءِ الشمعة.

218

لا بُدَّ للصلاة أن تكون متوعكة قليلا حتى تنقلَ نشيخَ الروح.

219

الدموغ: صيدي الثمين!

220

أن يكونَ هناك صدئٌ لصوتك ليس امتيازًا يفرحُ به الشخص، ويصفق له كالمجنون، فالصدى شائعٌ ومنتشرٌ إلى درجة الابتدال، ويكفي أن تسأل الكهفَ عن أحواله الفارغة، لئيجيبك بصراحة فجأة، ويكلل وقفتك بتاج الصدى.

الامتياز الحقيقي: أن يكون لصوتك ظل. حديقةٌ مجاورةٌ لصوتك. حديقةٌ تتجول فيها مستمتعا، محتفلا بطراوة الهواء.

أن يكون لصوتك ظلٌ يصلحُ عكازا خشبيا تستند عليه وأنت تتكلم. ظلٌ يُسندك في رحلة الحديثِ الشاقة. فالكلام؛ أيُّ كلام يجعلك تشيخُ سريعا.

قد تبدأ الجملةَ طفلاً، ولا تتمها إلا وأنت شيخ!

221

كثيرا ما يُقال عن الجسد: حبرُ الروح.

لكن أتساءل:

من سيمنح للجسدِ صوتَهُ؟

222

لن أحفظ ما أكتبه.

سأكون الريح،

ريشةَ الريح.

أما الذاكرة، فطفلة تتشاءبُ على سرير النسيان.

223

نصوصي تُوفّر نيلوفرا.

آه، أيها الرعاة!

البسوا قفّازَ الربيع.

224

ما لا ننالهُ باليدِ، ننالهُ بالخيالِ.

225

المسافرُ الجيّدُ يضع الأفقَ نصبَ عينيه، ولا يُسمّي البلادَ.

226

عوضًا من أن ينجبَ أولادا يجرّحون المكانَ بأجنحة ناتئة، أنجبَ عزّلتَه.

227

هناك من يُسافرُ في مكانه.

يدعو الحقلَ، ويفتح نافذة على فلاحٍ قديمٍ التّجاعيدِ.

228

يولدُ الإنسانُ راقصًا في البداية. رقصته لا تقلُّ سحرًا عن رقصة النجمة، ولا تقلُّ نشاطًا عن رقصة السنبله. ثم يتعلم، بعد ذلك، المشيَ كتقنيةٍ تملئها الضرورة. وإنَّ محتوياتِ العالمِ هي التي تدفعه إلى التخلي عن حالة الراقص، والانخراط في المشي المريب.

المشيُ خطيئة.

المشيُ انحطاط.

229

الاستهلاك الجميل للذات. القراءة الصاخبة لتعبك المثمر. ولك في النار الأُسوة الحسنة.

الرماد: الكتابُ اليومي للنار.

230

فردٌ يحمل نفسه كبذرة في داخله. يحمل نفسه كجنين على شفا الولادة، وينشرها كحصاد مبارك تجمعهُ الريح.

231

أن تخطئَ بشكلٍ جمالي.

أظن ذلك ما تطمحُ إليه البشرية.

232

لم أعتبر نفسي معبدا نقيًا يلتحفُ الجلالَ والوقار، ولم أبحث، في الحقيقة، عن موطنٍ قدم لي في سجل السماء. إنَّ الكلبَ الضال الذي ينبح في فناء المعبد أهم بكثير من الصلوات التي يتلوها الكاهن بآلية، والمومسَ التي تغوي الزوار بقرها، وتلتقطُ الدرهمات قرب المعبد، أقربُ إلى الحقيقة من النصوص المقدسة.

233

لا يمكنُ أن أدينَ الشرَّ الجميل. الشرُّ المدهش. هذا الساحر الذي يُخرج الأرانب من قبعته!

234

يجب أن تكون وقيًا أكثر لأعدائك، فالوفاء يكون، في الحقيقة، للأعداء لا الأصدقاء. وخيانةٌ صديق لا تضر في الغالب، لأنها اكتفاء بالذات، واعتراف سليم

بأنَّ الذاتَ تستطيع المضيَّ إلى عزلتها، متوجة بوجودها النقي والخاص. أما أن تخون أعداءك، فهو من الأمور التي يمجهها العقل والإحساس.

ينبغي أن نكون أوفياء لأعدائنا. أن نحافظ على نفسِ الحقد، ونفسِ العدوان، ونفسِ الرغبة الجهنمية في التدمير. ويُستحسنُ، وهذا من كرم النفس ونبيلها، أن نكون متشددين في الوفاء؛ نزيد من حجم عدائنا حتى لا نوصف بالوهن والضعف. (من أعطاك عاصفة، فقدّر هديته، وردّها بإعصار يقتلع كل شيء).

إنَّ الروح الغاضبة لا تسكنُ ولا تهدأُ إلا عندما تكونُ كريمة في انتقامها وعدائها. وبدلاً من ضربةٍ واحدة تضاعفُ العدد. وبدلاً من احتقارٍ واحد، تضيفُ احتقاراً جديداً، حتى ينعم العدو بممّانة لا ينساها.

كن وفيّاً لأعدائك! كن وفيّاً للكراهية وللحقد وللسطوة! أن تزرعَ وردةً يتيمة في الصحراء: خيانة بائسة للصحراء!

235

رغم ما يوجّهُ إلى التصوف من انتقادات، فسَيُحسبُ له أنه جعلَ من الدين فنا قابلاً للتذوق والإحساس. أي أنزلَ الدين بمرتبة الفن، وأصبحَ المتعبّدُ فناً في المقام الأول؛ يعرف كيف ينخرط في موسيقى الكون، ويساهمُ فيها بفعالية.

لقد خلَّصَ التصوفُ الإيمانَ من اللصوص المتعبين، ومن الغوغائية التي تضر به، وأصبحت العبادة عبارة عن ممارسة فنية أو تمرين جمالي.

236

المعبَّد، مهما كانت طبيعته وطبيعة الاعتقادات التي تخلق في سمائه، ليس سوى ماخور تُمارسُ فيه الدعارة الروحية.

237

يوم القيامة لا يختلفُ في شيء عن كرنفالِ العرابة.

238

لم تكن لي أعمالٌ خيرٍ. كنتُ محايدا تماما حتى فيما يخص الخير. أن تزرع شجرة يعني: أن تُضجِرَ الوجودَ بظل مجاني وبثمار وقحة.

239

الملائكة نفسها ستتفاجأ من زرقةٍ وقتي. من رصيدي الفارغ. من بياض أمنياتي. من وسادتي التي تشبه إلى حد ما حجارة القبر.

240

يوم البعث، سَيُحَاسَبُ من يملك نوايا، ومن يخطو ويعرف أن دربا عشيا في
انتظاره. أما أنا، أنا الذي قضيتُ وقتي متسكعا على رصيف الفهم. حياتي لم تكن
جوابا على شيء. كانت مجرد سؤالٍ يطرحه شخص أبكم!

241

قضيتُ حياتي أسوقُ عربية بين الأزقة، وأشمز من نفايات الأجوبة.

242

أظن ثروتي الحقيقية ليست في انجازاتي، بل في أحلامي التي لم تجد حبرا
تُكتبُ به، وطوبا تُشيدُ به.

243

الآخرون يبنون قصورا. أما أنا فأكتفي بسرقة العصافير من الحدائق.

244

السيئة عُصفورٌ يطير.

بتلك السحابة البيضاء فقط يمكن أن تواجه ضجر العالم، وتأوي إلى ركنك
لا تحلم بشيء. لا تحمل إلا بسكينة غريبة مروضة، تأخذها من عنقها كحيوان
أليف.

وليسَت السحابة البيضاء راية استسلام حربية، بقدر ما هي إيمانٌ بالنفس.
جدارٌ صلب لا يُبالي بالأيدي المخربة. يقوم في مكانه هادئاً. يتجشأ. يغالب
سعالاً محتملاً، ويغرق في عزلته.

لا صداقةً غير ما نؤمن به في أنفسنا، ولا مبالاة بما يقوله الآخرون. صريرُ
الباب مجردُ خدشٍ. الهواءُ يحميكَ بطيبوبته. يضمُّك كطفل. أحضانٌ مريحة تُشعرك
بنفسك. بعمق نفسك. بصلاتك الشخصية لإله فيك أنت. إله حميمي، دافئ،
وبديع.

تقول بوقار:

الكثيرُ من النثر لأجني القليل من الشعر. تلك حكمتي وفضيلتي! العديد من
الجمال النثرية السريعة لأقفَ على بحيرة شِعْرٍ صغيرة. ولستُ الوحيد في ذوقي
القاسي والشريـر هذا، فالسماءُ تقاسمني نفسَ الذوق المتعالي، ونفسَ النظرة المتعالية.
السماءُ تسلك مثلي نفس الطريق: تُبذُرُ عواطفها لتصنع غيمة ممطرة واحدة!

آه، إنني أستشعرُ الآلام، وأنفق الكثير من الآلام، لأصنع فرحة صغيرة.



قُماشُ الحَديقَةِ

أَيُّ دَوْرٍ سَيُسْنَدُ لِلْمَرْأَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْجَدِيدِ، بَعِيدًا عَمَّا يَدْعِيهِ الذُّكُورِيُّونَ، بَعِيدًا عَمَّا يَزَعُمُهُ النِّسْوِيُّونَ وَالنِّسْوِيَّاتُ؟ أَيُّ دَوْرٍ خَارِجِ الْمَطْبَخِ الْأَبْدِيِّ. خَارِجِ الْعُرِيِّ الْبِنْفَسْجِيِّ. خَارِجِ ثِقَافَةِ الْحَبْزِ الَّتِي تَكْبَسُ الْأَنْفَاسَ. خَارِجِ الْأُزْيَاءِ الَّتِي تَحَاوُلُ أَنْ تَسَوِّقَ الْجَنَّةَ، وَكَأَنَّهَا بَضَاعَةٌ مَرْتَبَةٌ؟

مَاذَا يُطَلَّبُ مِنْهَا فِي مَجْتَمَعٍ جَدِيدٍ، يَصْبُو إِلَى أَنْ تَكُونَ بِنَايَاتِهِ مِنْ لِبْنَاتِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ؟

أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ الْمَكْتَفِيَّةُ بِنَجْوَمِهَا

وَبِسَمَاوَاتِهَا!

يَا خَيْطَ الْوَقْتِ الَّذِي يَحِيكُ وَسَادَةَ ذَوْقِنَا

وَشَهْوَتِنَا.

اسْتَمِرِّي فِي إِنتَاجِ الْجَمَالِيَّةِ!

بعضُ النساءِ استثنائيات، يعيشنَ طفولةَ البرق. يعيشنَ البياضَ الفني الإلهي.
يعشنَ التقديسَ الصامت الذي ينمو رويدا رويدا في حقول العزلة.

السماءُ نفسها تُصبحُ مروحةً تعني بلونِ بشرتهن، وتعني بالعصافير التي تبني
أعشاشها في حناجرِ أوقاتها.

بعضُ النساءِ لا ينسجمنَ مع الكلام. هُو سبأٌ في حقهن. في حقِّ حاشيةِ
القمر التي تدبُّ ظلالهن. هن أبعدُ عن الكلام. أبعدُ عن الصمت. هنَّ أشبهُ
بالحيرةِ الخالصة التي يمارسها الصوفية في ملكوتهم. هنَّ ضد ما يُكتب، وفوق ما
يُكتب. دموعهن حبرٌ لكتابةِ قصيدة، وظلهن المتساقط على التراب، يأخذُ شكل
وردة غامضة.

المرأةُ مخلوقةٌ من ضلعِ الرجل!

لننظرُ إلى هذا الدهاءِ البهي! يخلقُ الرجلُ المرأةَ في الميثولوجيا، وتخلقهُ هي في

الواقع!

صوتكِ قماشُ الحديدِقة.

من العجائبِ التي دونها بودلير: لا يفهمُ سببَ زيارةِ المرأةِ للكنيسة، لأنه يجهلُ ماذا ستقولُ لله، ويجهلُ طبيعة الموضوع الذي ستناقشه مع الذاتِ العلية! وتصريح بودلير هذا يكشفُ بجلاء طبيعة منزعه. إنه يستبعد أن تكون ثمة علاقة أو قاسم مشترك بين المرأة ككائن غريزي غبي، وبين الإله المسيح بحديقته المطلقة. يستنكر أن تجمع بين المرأة والله مائدةً للحديث أو فرصة للمناجاة، لأن المرأة ليست في مستوى تقديم صلاةٍ إلى المطلق، ولا في مستوى أن تحظى باللقاء به في كنيسة باردة.

استنكارٌ يرقى إلى مرتبة السداجة! وهي سداجةٌ غيرُ منتظرة من نبيِّ خبر الدهاليز، وعرفَ كيفَ ينأى بسلاسة وفنية في المعنى السفلي. فكيف تخلى بودلير الشاعر النبي عن كل إرثه الشعري المتسم بالعمق ليستقط في هذه الفضيحة السطحية؟ كيف لم يحترم قانون العطر وزرقة السماء، ولم يصغ إلى قهقهة بحيرة في سراة امرأة مغناج؟

إن سطحية بودلير الغريبة والمفاجئة لا يمكن أن تفهم إلا في سياق فشلها العميق في التخلص من المرجعية الذكورية الرثة. هذه المرجعية التي لا أرى فيها سوى تفاحة متعفنة في بساتين الماضي. مرجعية بائسة تعتبر النساء معبدًا شهوة متحرك، ولا حاجة لهن إلى مناجاة المطلق، لأنَّ المطلق بتفاصيله مندورٌ للرجل. الرجل فقط من يستطيع أن يبني كنيسةً، وينصبَ إلهًا يستقبل الصلاة المذكَّرة، والتمجيد المذكور. الرجل وحده من يكتب الكتاب المقدس، ويوزع ثمار الروح. أما المرأة فلا تزيد عن حيوان أليف، تابع، ساذج. حيوان قصارى جهده أن يلهث ويتمسح بظلال سيده يطلبُ رضاه وبركاته.

يا للقرف الذي يجرخ وجه السماء! يا للذكورية الفجة واللسان العفن المحمل بالعناكب! هذه الأقنعة الذكورية متى تسقط لتكون السماء حرة، والطبيعة حرة، ويكون الإله حرا من الصلوات المذكورة؟ متى تكافح الإنسانية لتقليص مساحة الذكورية في الكون؟

لا يمكن للجمال أن ينضج أبدا، إذا كان هناك متسلط كيفما كان نوعه أو طبيئته، يوسّع حدوده، ويعملُ جاهدا لإلغاء الآخر.

ألغت المرأة قصة الخلق التوراتية:

لم تخلق حواء من ضلع آدم، ولا كانت في المقام الثاني. هي الأصل والمنبع.

عندما كانت حواء تعجنُ غيمةَ الفخار، كان آدمُ لا يزالُ طفلاً يركضُ في
حديقةِ نظرتَها!

7

أخبرتني بعدَ ترددٍ واضح، أنّ شعبي غيمةٌ مؤلمةٌ، ولا تستطيع، والحالة هذه،
أن تحتفظ بي صديقا.
فأجبتها منتشيا:

احتفظي بي عدوا إذن! إنّ للعداوة أيضا بهاءَها وشموحَها!

8

الوردةُ شفافةٌ غيرُ قابلةٍ للمس. تبدو في سريرِ الحديقة، كعاشقةٍ خرجت للثوّ
من تجربة الحبّ. تتطلعُ منهكة، باسمّة، راضية، لأنّ السرّ توجّج أجفانها، وتوجّج
حضورها الفضي.

عريانة هي، أو في أجمل الاحتمالات بقميصٍ واحد: قميصُ الشهوة أو
قميصُ الماء.

9

حرّروا جسمَها

من وصايا السَّمَاءِ،

حَرِّرُوا الْوَرْدَ فِي جَسْمِهَا

فَالسَّمَاءِ:

نَكْتَةُ الْأَنْبِيَاءِ!

حَرِّرُوا جَسْمَهَا، حَرِّرُوهُ !

وَلِيَكُنْ ظُلُّهَا: وَرْدَةَ الْآنِيَةِ

عَبَقَ الْأَعْنِيَةِ،

نُجْمَةٌ تَتَلَأَلُ فِي أَفْقِهَا

نُجْمَةٌ

أَوْ وُجُوهُ!

منّ الغريب أن كتابَ العهد القديم يستعملُ فعل "عرف" للدلالة على فعل "نكح".

ألا يعني هذا أنّ النكاح نوعٌ من المعرفة؟

هناك كتاب، سحابة، حديقة، معبر..

لكن لا تجدُ الوقتَ الكافي للانشغالِ بكل هذا الثراء الذي يُحْدِقُ بك، لأنك تُوقِفُ وقتك كلّهُ على المرأة: الوردة الأكثر أناقةً في الكون.

ورغم أنك منصرف إليها بكلّيتك انصرف العابد إلى السر الكوي، فوقتُك عاجز تماماً، كفقير الأكواخ وشحاذ الطرقات، عن تسديدِ دينِ العطر.

إنك تشبهُ طفلاً في تقربك من قدمي امرأة، طفلاً يخطفُ وقتاً ليلعب بظل وردةٍ أو يلعب بالماء المبتهج، طفلاً يسرقُ تفاحة من خلف السياج، ويعودُ مفزوعاً إلى نفسه، يتأمل أثر الخطأ وأثر الصواب.

المرأة سرٌّ يستغرقُ كلَّ وقتك، ووقتك قماشٌ لا يغطي حتى عُري نظرتها.

السُّرُّ ملفتٌ للانتباه، وردةٌ تعترضُ السبيلَ محمَّلةٌ بالشهواتِ الدفينة، ولا تملك
إلا أن تُقبِلَ على عطرها كالمسحور، وتهمس بخضوع:

كم أنا في حاجة حَيواتٍ حتى أفهمَ الوردة وعطرها، وأفهمَ الترابَ أو السريرَ
الذي يستقبلُ ظلكِ الملكي!

إنَّ كفينِ ممدودتينِ بصدقٍ كافيتانِ لجمعِ ظلالِ المرأةِ المتساقطة،
لكنَّ الروحَ. الروحَ التي تعيش بلا أيدي. ماذا تفعل؟ وما نصيبها من الجروح الذكية؟
وفي وحدتك، ترقبُ السنينِ تعبرُ عجفاءً تعبَةً، وتتساءلُ:
لماذا يخلقُ الله عمرًا محدود السنوات، وبجواره يخلقُ وردةً لانهائية الأسرار؟

12

تحدثنا، مساءً، عن داروين بإسهاب. العلمُ وهو يشرحُ ميتافيزيقا التاريخ.
العصورُ التي ركضت تجرُّ عرباتِ الكهوف.

وفي أوفر اللحظات إلهاما وإشراقا، أخبرتني أنَّ لها سلفا مشتركا مع الوردة!

13

الجمال يكمنُ، خصيصا، في المرأة.

لا أقصدُ الجمالَ المبهرج الواضح وضوحَ الغباء، المثيّر كحشرة في ورقة خضراء.
لا أقصدُ المملل الذي قد يحدثه جسدٌ يشتغلُ على الإغواء السخيف. لا أقصدُ
الوضوح الذي يعمي العيونَ بدون جدوى أو فائدة روحية، بل الجمال المتخّم
بالرمز، والذي يشتغل بالإشارة بدل العبارة، ويشتغلُ على الإيماءة التي تمسُّ عظامَ
الروح.

الجمال الذكي الذي لا يكشف نفسه، بل يتحرك كتينة في خيال الطفل،
ويتحرك كوردة في قماش حقل.

لكن يا روحي؟ يا طريدة اللغات والحكايات! لمّ الجمال الفذ والحر ينحصرُ
فقط في المرأة دون سواها من الكائنات؟ لمّ هذا التخصيص الذي يُقصي أقرانَ
القمر وستان التلة؟ لمّ الشح في الاختيار وربط الجمال الخالص بالمرأة؟ هذا الكائن
الغريب الذي قد يغير خارطة الدنيا بابتسامة أو برفة جفن.

لمّ العبادةُ المجنونة؟ والمرأةُ قد تبدو، في العديد من شؤونها، بعيدة عن كل
شعيرة وتقديس. برقُ العاطفة لا يُعينُها على الاهتمام بوترة التقديس، فتجدها
غافلة ترفل في دنيا التلاشي، لا تلتفت إلى كثرة المقدسين والمتزلفين. لمّ الإصرار
العنيف على أن حركةً واحدة من حركاتها قادرة على فتح سماء، وعلى إحداثِ
تراكم معبد؟

التعاملُ مع المرأة شأنٌ خطيرٌ لا يقلُّ أهميةً عن إنشاءِ ديانةٍ لإشباعِ شراهةٍ روحية. شأنٌ لا يقلُّ ذكاءً وفنيةً عن التعامل مع القصيدة، حيثُ يجبُ الانتباه دائماً إلى خبايا المجاز والاستعارة، والتفاصيل الدقيقة الخاصة بتسلل العبق وتجليات سلطة الفراشة.

التعاملُ مع المرأة يفرضُ عليك التسلح بزهدٍ راهبٍ، وتكشفِ خريفٍ، واعتبار مائدتها كتنويه مستمر بالربيع. ولا يمكنُ احتراف فن التعامل معها، إن لم تكن أعرفَ العارفين بمذاهبِ الروح والمادة، مسافراً بين الفلسفات التي تبحث في الود والتقرب والشهوة والتعفف والتصور والتجرد، والانغماس، والصعود والسقوط. إن لم تكن متمكناً من مذاهبِ تبحث في تشذيب الأشجار وتأديب الأحجار وترتيب الأمطار، مذاهبِ الجنون والتعقل والانحراف والزيغ والشيطنة، والملائكية المتطرفة، والحبور والصرامة. مذاهبِ الأسرار الموغلة في الغموض، حيث الوردة أول خطوة نحو السماء، وقطرة المطر الضالة أول همسة في أذن الكون.

ولفهم المرأة، يجبُ ينبغي الإصغاء إلى جسدها وظلها الذي يتحرك بفنية عالية، يوائمُ الريح، ويجالسُ الحديقة. ينبغي أن تدركَ ما تقوله دون أن تقول؛ أن يكون ثمة جسر لا هو بالصمت ولا باللغة؛ يربط بينك وبين كيانها. غابة لغوية لا تثمرُ إلا الصمت.

الحبُّ أسلوبٌ قبل أن يكون غريزة. إنه بصمةٌ أو توقيع في دفتر الصبيحة. إنه فن التقرب من المرأة، وفهم هيجانها، وخفوتها، وإقبالها على وردة المكان. فهم انصرافها إلى عزلة أنثوية يطل عليها قمر أبيض... وإذا لم تكن لك المعرفة الحقيقية التي تستطيع أن تجس ديب النمل في روح المرأة، فلن تفهم عاطفتها.

التعاملُ مع المرأة يقتضي استشعار نحلة الضجر التي تنتقل بين زهور الأحاسيس، حتى لا تكون ضيفا ثقيلًا على وجودها كغيمة وكحجر فضولي. حتى تكون لبقًا حتى في رحيلك.

وأول فراشة في دنيا الحب والوصال هي:

أن تنظرَ إلى مدى حضورك في وجود المرأة. أن تنتبه إلى الانطباعات التي تخلفها في روحها.

فإذا حدث وأحسست أنك شيءٌ عادٍ في حياتها. روتينٌ بأنياب جهنمية. شيءٌ مهمَل. أثاثٌ لا قيمة له.

إذا وجدت نفسك أقلَّ من زر في معطف تحيطه، وأنَّ المساء لم يعد يتشكل كشرفة تضمكما.

إذا وجدت أن ظلها، حتى ظلها يجفلُ من حركتك، وأنت تقترب كي تبعد، وتبتعد كي تقترب.

أن وردة الليل لا تحتفي بوجودكما تحت سقف واحد.

إذا أحسست أن الطريق لا يعرفك،

وأن المنزل لا يعرفك،

وأن السرير لا يعرفك،

وأن المرأة تفضل الجلوس قرب المدفأة على أن تحترق كفراشة بقبلة شفتيك.

إذا وجدت أن الغياب اسمك اليومي، وأنت ابن الغياب، ولحم الغياب، فاعلم
أن الموعد قد حان.

تصرف بفنية متعالية، واحمل اسمك كزادٍ رثٍّ وامض.

15

أكاد أقول: إن المرأة بوجودها الشفيف والكريم، تعفي السماء من إرسال
الأنبياء. إن وجودها كافٍ لإثبات وجود الله.

المرأة يريدُ الله.

فَكَرَّتْ فِي مَزْجِ الْمَرْأَةِ بِاللُّغَةِ حَتَّى يَكُونَ اسْتِعْمَالِي لِلُّغَةِ نَوْعًا مِنَ التَّوْحِيدِ بِالْمَرْأَةِ،
 وَنَوْعًا مِنَ الْخَلْقِ وَالِابْتِكَارِ، وَتَجَاوَزَ مَا لَا يَرْقَى إِلَى طُمُوحِ طِفْلِ يَلْعَبُ بِخَفِّ نَجْمَةٍ.
 فَكَرَّتْ فِي أَنْ أُخْلِقَ الْمَرْأَةُ بِتَرَابِ اللُّغَةِ وَغِبَارِهَا الذَّهَبِيِّ، فَكَانَ أَنْ سَأَلْتِ نَفْسِي،
 أَوْ أَشْبَاحَ نَفْسِي وَأَنَا جَالِسٌ إِلَى طَاوِلَةِ الدَّهْشَةِ:

أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ، عُمُومًا، جَرَّةَ فِخَارٍ شَكَّلَهَا الْحَزْبِيُّ الْأَكْبَرُ؟ فَإِذَنْ، فَلَأَتَلَحَّقُ
 بِالْمِثُولُوجِيَا وَعَوَالِمِهَا السَّحَرِيَّةِ كَمُسَافِرٍ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ، وَلَأَعْجَنُ طِينَ اللُّغَةِ بِكُلِّ مَا
 أَوْتِيَتْ مِنْ جَنُونَ وَتَهْوِيرٍ، وَأَصْنَعُ امْرَأَةً تَلِيْقُ بِقَامَةِ رُوحِي، وَبِحِجْمِ صَوْتِي.

أه.. يَا طِينَ اللُّغَةِ، وَيَا صَلْصَالَ الْعَقْلِ!

لَقَدْ أَهَكَّتِ الطَّبِيعَةُ جَسَدِي وَعَقْلِي، طَوَالَ مَدَّةِ اسْتِلْهَامِ إِنْجَازَاتِهَا الْكَثِيرَةِ.
 كُنْتُ أَرْسُمُ شَفَةَ الْمَرْأَةِ بِالْوَرْدَةِ، وَالْوَنَ حَنْجَرَتِهَا بِلَوْنِ النُّهْرِ، وَالْحِقِّ نَهْدِيهَا بِفَهْرَسِ
 السَّفَارِجِ.. وَلَمْ أَعُدْ قَادِرًا الْآنَ عَلَى مَوَاصِلَةِ نَسْخِ دَمْعَةٍ عَشْبِيَّةٍ أَوْ عِطْرِ طِينِي.

الْمَرْأَةُ سُرٌّ بَادِخٌ. هِيَ بَانْدُورَا الْوَقْتِ بِلَا تَرَدُّدٍ، فَلَأُبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةِ مَغَايِرَةِ تَجْعَلُنِي
 أَحَاذِي السَّرِّ. أَنْ أَصْبَحَ جَارَ السَّرِّ الْوَدُودَ وَالْمَشَاغِبَ، أَفْتَحُ نَافِذَةً عَلَيْهِ وَأَحْيِي
 مَصَابِيحَهُ الْمَلُونَةَ، أَوْ أَدْلِقُ نَشِيدِي عَلَى شِرَاشِفِ يَوْمِهِ. لَأُبْحَثُ عَنْ طَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ
 تَمَكِّنُنِي مِنْ أَنْ أَوْقِدَ الْبَرِّقَ وَأَرَى تَفَاصِيلَ الْمَرْأَةِ عَلَى ضَوْءِ الْبَرِّقِ الْخَاطِفِ.

ومشيًا على هدي حُطى الصوفيين، سأعتبر الوجودَ كتابا يضحُّ بالكلمات،
وما نراه من كائناتٍ أو صورٍ ليس سوى كلامٍ همسه السُرُّ الأعلى (الحقُّ بلغة
المتصوفة) في لحظة أنيقة، مهمة، منفجرة كشلال كوني.

المرأة كلمةٌ إذًا، لكنها تتمتع بحضورٍ لافت، بعطرٍ يصعدُ من أحشاء الروح.

المرأة: كائنٌ مخلوقٌ أو خالقٌ. يلتقي الضدان في رحيقها.

المرأة: حُرُوفٌ تحتاجُ إلى تأويلٍ مُرقشٍ يشتغلُ كمروحةٍ في يديها.

تكن المرأة أشبه بالحرف الذي يفتح على حديقة احتمالاتٍ.

الطاء: ربما تليقُ بامرأةٍ مكنزة.

الباء: امرأةٌ أنيقة تُرسلُ شعرها كياسمينه بيضاء.

الجيم: امرأةٌ بخصرٍ دقيق. ذراعي تسعُ الأبدية السرية.

الحاء: تتقيدُ المرأةُ بخلخالٍ لتحرّرَ زينتها.

القاف: القرنفلُ امرأةٌ ترجمتُ نفسها ذاتَ صبيحة.

...

وهكذا، فَجَسَدُ المرأةِ ليسَ سوى حروفٍ متناسقة، وليسَ الحرفُ سوى كونٍ يعجّ بأسرار. بُرُوقٌ في الظلام. بُرُوقٌ تتطلّبُ حساسيةً لتذوقها. ولستُ سوى هذا الكويّ الذي لا تعوزه التجربة ولا المهوبة، أجلسُ على عتبة، وأنظرُ بعينٍ هادئةٍ إلى السر. يسكنني فرحٌ لاستقبالِ المرأةِ الكونية. أقولُ:

لن أفهمَ المرأةَ إلا عبرَ بابين:

باب التنسك المتطرف، وباب الشهوانية المتطرفة.

التنسك:

تتويجٌ لوردةِ السر. أحمَلُ نقشُني الرُوحِيّ، وأنظرُ إلى المرأةِ باحثاً عن سرِّ شاحبٍ. البرقُ عنوانٌ والمرسلُ مجهول.

الشّهوانية:

ليسَ الجنسُ وظيفَةً أو هوايةً. المطرُ هيجانٌ إباحيٌّ.

الرغبة التي تضطرمُ داخلي هي: حيوانٌ برأسِ ملاكٍ.

النساءُ صورٌ تتوالى، لكن خلفَ الصُورِ يتنوي المعنى مجيداً. أينَ قنديلُ ابنِ عربي لأوّلَ مجنونِ المكانِ. قد نستعيرُ شُعلةً من برقٍ خاشعٍ لندركَ المعنى. يفتحُ ابنِ عربي غيبه. يتقدمُ. عيناهُ مفاتيحُ لغويةٌ.

لا صراطٌ للجسد. الجسدُ نفسه الصِّراطُ. الخاصِرةُ لافتةٌ تُدُلُّ على حدائقِ خلفيَّة.

الجسدُ زُمورٌ غنيَّة. ليسَ الجسدُ أرضًا فقط، بلُ سياجًا سماويًّا.

يختلطُ النكاحُ بالصباح. النكاحُ الرُّوحيُّ مُقدِّمةٌ بستانِ الحقيقة.

عندما أتجولُ بين الورودِ المتعددة، أهتمُّ بقطفِ الأريجِ فقط. غيري يقطفُ الورودَ، أما أنا فأقطفُ الأريج. من يقطفُ الوردةَ يُسيءُ إلى ملكوتِ الطبيعة.

آه.. في العشق كما في الحياة، ينبغي أن نتسلحَ بأخلاقِ السياح: نعبزُ ولا إقامةً لنا. نقيمُ في الرحيل، وضيافتنا لا تكلفُ شيئًا. لا تكلفُ حتى مقدار الظل.

أذكرُ أن البوذيين يتسلحونَ بأخلاقِ السياحة. الراهبُ البوذيُّ يتصرفُ بتقشُّفٍ شديدٍ مع كينونته حتى يُساهمَ في تمطيطِ مغزاها. البوذيُّ لا يقنتي الأثاث مادام في وسعه أن يستعملَ مطبخَ السماء.

بمثلِ هذه التعاليم الخفية، كُنْتُ أسعى إلى أن أقاربَ المرأة. كانت إقامتي الوجيزة بالمقهى، فرصةً لأطلع بعضَ الوجوه النسوية التي ربما بذرت سحرا في الذاكرة (تشكلُ الذاكرة ذخرًا للوحيد).

لماذا يحملُ الرحالةُ القمرَ في جرابه؟

القمرُ زادُ الروح.

لماذا أجلس في المقهى منتظرا ملكوت الأنوثة؟

وردةُ الأنوثة زادُ شعري.

ربما أستعينُ فقط بمحتوى نظرة المرأة لأؤسسَ كونا. لا يحتاج الأمر إلى حجارةٍ وطوبٍ. أجمالُ المعابد ليست تلك التي يحتلها الكهنةُ ومحتالو الصلوات، بل تلك التي تُبنى بحجارةِ الإحساس.

نظرتي إلى المرأة نظرةٌ موصولةٌ بشرفة سماوية، وبيئر أرضي. يمتزجُ فيَّ الشهواني العارمُ بالتنسُّكِ الروحانيِّ. أتذكّرُ ابنَ عربي وهو يسكُبُ حكمته في دلو.

الحكمة ماء. أرغبُ في أن أنهلَ من ماء الحكمة حتى أمططَ سعة ذراعي. يصبحُ الكونُ طفلا ينامُ بين ذراعي، فأواسيه مُطمئنا.

يوشوشُ ابن عربي. يضعُ السماءَ والأرضَ في سلةٍ واحدة. حسبُ المرأة شرفاً أنها في وضع الجماع، تكون في حالة السجود، والمرء يكون أقربَ إلى الله عندَ سجوده! أرى الضوءَ يسجدُ. ثمّة شغف يتدلى كغيمة مكتنزة. السرُّ يهرول. تنسكي متطرف. شهوتي متطرفة.

الشمسُ تضيءُ ممرا يؤدي إلى المرأة.

17

يتجسدُ الله في كل امرأة تضعُ مولودها.

18

يُنقحُ العاشقُ طريقةَ سقراط في معرفة الآخر "تكلم حتى أراك"، فيقول
لمعشوقته:

" تعرّي حتى أراك!"

19

من عجائب الحب: لا يترك لك فرصة التنفس واستيعاب ما يجري. كلُّ
التجارب التي مررت بها قبله تتبخّر كأنها لم تكن. كل الشتاء التي قضيتها ناعما
بدفء وبلح جميل، تندثر. كلُّ شيء يغيب. يذوبُ كجسد الشمع، وتظل وحدك
ترقبُ حبيبتك بيدين ممدودتين نحو الفراغ. تشعرُ بحضنك مُلازمًا لها حتى أثناء
غيابها. (ثمة تناسب غير مفهوم بين جسدي وجسدها). تشعرُ به قد فُصلَ تماما
على مقياس جسدها. وكأن الله فكر، منذ الأزل، في مفاجأة لذيدة، فخلق ذراعيك
بسعة جسدها، وخلق جسدها بمقياس ذراعيك.

أيها الله!

أيها العبقري المتواري عنا، والذي لا يتعبُ من تجهيز سلال الفاكهة كبستاني
أبدي نشيط!

أنت الذي تضعُ كل شيء، وتصمّمُ كل شيء بدقة متناهية لا تترك بابا
للعتاب ولا المؤاخذة. إنني أنتظرُ حلولها كي تلبسَ ذراعِي بفرح يليق بجننا، ويليقُ
بحكمة الكون الواضحة:

الزهرةُ للحقل.

النجمةُ لليل.

الجدولُ للصبيحة.

الغيمة كزر بني لمعطف السماء.

وأنا لها.

وهي لي.

20

إلى جانب الشاعر، تجلسُ امرأةٌ متعبة. لم يرحمها التعب فغرقت في سُبَات
جميل. الوجهُ هادئٌ تماما كبشارة ملائِكِ فطريةٍ لم يتلقها نبيٌّ بعد. تغرقُ في النوم.
يبدو نومُها ككعكة في يد طفل. أنفاسُها تحبُّكُ الحلم كمغزلٍ بسيط.

يحدق الشاعر فيها ويهمس:

نومُ المرأة نافذةٌ بتجاعيدَ جميلة!

21

المسألة تتلخصُ في رغبتك الشديدة في الحب. أن تُغنيَ جناحَ الفراشة بمزيدٍ من الألوان. أن تتخيرَ امرأةً تثيرُ أغنى العواطفِ وأرقَّها فيك. تمدُّ يدها نحو يدك، فتحسُّ بنشوةٍ عاصفةٍ تشبه نشوة الصوفي حين يغيبُ عن نفسه ويحضن وردة الحقيقة. لكنَّ سلوكَ الاختيار هذا وشهوته التي تلتهم أطراف وجودك لا يرضيك، لأنك ستبدو ميكانيكيَّ الأفقِ والرغباتِ والجسدِ. وهو أمر يتنافى قطعاً مع مقام الحب.

فما العمل؟

المراهقُ عادةً ما يستعملُ ذكاءه، وينسج قلباً لامرأة في خياله، يستدعيها في حفلات الألم، ولكن أنت. أنت وقد تجاوزت هذه المرحلة، ولم تعد في حوزتك هذه الحكمة الطائشة، ماذا تفعل؟ هل ستنسجُ مرحلةً بكاملها لتطعم إحساسك بالوحدة؟ هل ستعود إلى التمسك بنور خافت يصدر عن ثوب عذراء؟ بضحكة فاترة لامرأة، ثم تنسج حولها الأساطير؟

حتى القلب لم يعد له هذا الجموح الذي يؤهله للجنون. لم يعد بوسعه أن يرقص في المسرح، ويحيي الجمهورَ باستهتار في نهاية العرض.

فكيف يتحقق الحب إذًا؟ ما الوسيلة التي تجعلك تقف على عتبة المعبد، دون أن يتأذى الصمت الذي يلف المكان؟ كيف تحب بحرية دون أن تتعكر عبادتُك إن صادفتَ صَدًّا وهجرًا؟

لأن الأمر في النهاية يجب أن لا يتعلق بالآخر. أنت تؤدي وظيفة وكفى! تحب لا غير. ولا ينبغي أن تغضب أو تنفر إن لم تجد قبولاً أو تفاعلاً.

ولكن مهلاً!

يا لهذا القلب الذي يتشوقُ لنظرة ولو كانت غاضبة. يا له من كلبٍ عنيد! فحتى لو لقنته فلسفاتِ الهيامِ الصوفي، وغذيتُه باليأس كعلاج، فهو سيأبى إلا أن يتشبث بأمل ما وإن يكن كاذباً. عليّ إذًا بصناعة الكذب. إنَّ العاشقَ ليصنعُ لنفسه أملاً كاذباً، ويعيشُ لذة الكذب بنشوة لا تُضاهى.

الكذبُ فضيلةُ القلبِ اليائس.

الهمجية قد تكون أيضا في الحب. ولكن الهمجية المنتقاة. الهمجية التي تلمع
كعبارةٍ ضالّةٍ في غابة الكلام السوقي. الهمجية التي يُعَدُّهَا العاشقُ مستخدماً
مقصدَ الحنان.

تلك المرأة التي سمّيتها بالمرأة، لم تكن تحمل من المرأة إلا اسمها. كان طموح
الشعر أن ينفذَ إلى العمق، ويثري أنفاسه. فإذا به يعود مكسورا كجرّة فخار.
لم تكن هذه المرأة بالأفق الجيد للغة، ولعلّ القوائد التي ألهمتّها كانت خطأً
في الإحساس، وخطأً في التوقيت، وخطأً في معالجة وجه الوردية.
وإنني أتعجب الآن من كمية الخبر المهزّق، كما يتعجب المتعبّد من دم قربانه.
بنيثٌ معبدا لها، وهي في الحقيقة لا تستحق سوى مطبخ!

لو كنتُ النومَ. هذه المساحة الرخوة، لكنتِ تترمين في أحضاني منهكةً،
تسلمين جفونك لخيوط الحلم، فأقضي الوقت، كلّ الوقت أصغي إلى أنفاسك،
وأجهزُ الصباحَ بفرح وألم.

25

المثالي في الحب هو الذي يُجري تنقيحاتٍ يومية على نسخة «حواء».

26

إذا اعتبرنا شهرزاد نموذجاً للمرأة، فيمكنُ القول: إنها كانت توسّع أفقَ الرجل بالحكايات، أكثرَ مما توسّعه بالجنس.

27

المرأة حكاية في فم وردة.

28

المرأة التي تؤثر فينا صدقا ليست الزوجة، وليست الحبيبة.

الزوجة استعمال اجتماعي قد يجرّح أكثر مما يزيد ظلك بضمادة. والحبيبة بستان عاطفي؛ وقد تكونُ العاطفة ضارة مثلها مثل الفراشة التي تلحق ضررا بالهواء إن هي تجردت من ألوانها.

علاقة الزواج قناع، ولا يرقى القناع إلى مرتبة الوجه، وعلاقة الحبّ وجهٌ قد يتحول، بتوالي الأيام، إلى قناع.

المرأة المثلى التي تؤثر فينا صدقا هي التي تربطنا بها علاقات المجاز.

29

ستتزوج!

كيف للوردة أن تستسلم لإغواء الآنية، وتنسى عفوية الهواء؟!

30

الزواج يناقضُ بهجةً الحب. الزواجُ عادةٌ تفصلُ الإنسان عن منبته الأصلي،
ليدخلَ في منبت آخر جديد يعجُّ بالأقنعة. الزواج حربٌ على الخصوصية، وانتهاكٌ
للحميمية التي ينبغي أن يكون عليها الحب. ولا يمكن للحب أن ينضج ويتوج
بالحكمة إن خضع وأسلم عنقه للقواعد والقوانين!

31

العاشق فطرة سخية. أما الزوج فوظيفة. وصفة اجتماعية يقضي الفرد حياته
وهو يلهث خلفها. وفي الأخير، يكتشف أنه انتهى كأفق مكشوف ورتيب.

32

المرأة التي تستطيع أن تقنع رجلا أعمى بجمالها، أعظمُ بكثير من المرأة التي
تقنع رجلا يراها بعينه.

33

وداعُ المرأة لا نعيشه إلا في أخيلتنا. وداعُ لا نصدقه، وكأنه برتقالة نضجت
سريعا كاسرةً قوانين الفصول.

34

مرةً، قلتُ للمرأة:

هل تعرفين الوداع الذي لم تعيشيه؟ فقالت: أعرفُ الحلم. أعرفُ عشبةَ
الخریف. أما الوداع فلا.

ويستحيلُ، في الحقيقة، أن نودِّعَ امرأة ما دمنا نملكُ الذاكرة، وما دامت
الذاكرة، في طبيعة تكوينها، بمساحة ظل المرأة!

35

صداقةُ المرأة مستحيلة. المرأة مندورةٌ فقط للحب. أما الصداقةُ أو عناوينُ
الصداقة التي نرفعها كلافات، ونبرع في تنميقها بريش الشمس، فلا يمكن أن
تفلح كسياج، لتهديب العواطف والغرائز. الصداقة بين الرجل والمرأة دعارةٌ
حضارية لا غير.

إذا كانت الشمس لا تدفئُ عظامنا، فلماذا تشرق؟

الهدفُ من الذراع: ممارسة العناق. وإذا كنا في حالة انفصال مؤلم. إذا كنا نشكو من غياب المرأة، فما فائدة الأيدي؟ ولماذا نتجشم عبء حملها؟

آه، من هنَّ صديقاتُ الشعر؟

اللواتي يجهّزْنَ الحلمَ كوسادة.

من هؤلاء النسوةُ الفاضلاتُ اللواتي يستمددنَ منَ القمرِ الفضيلةَ الفضية؟

من هنَّ؟ وهل يمكنُ للشاعرِ أن يحلمَ بطيفهنَّ ذاتَ مساء؟ أن يُقابلهنَّ، على حين غرة، كمفاجأةٍ تضعُها يدُ الغيبِ على الطاولة؟

اللواتي يضحكنَ في خفر. يتهاَمسنَ عن الغريبِ وأيديهنَّ على الأثداء.

اللواتي يُفكرنَ في الحب، كأمرٍ يفتحمُ القلوبَ بعرباتٍ ممجدة.

أجل، يضحكن، والضحكُ يسري في الروحِ كرنينِ قطعةٍ نقدية.

من هنَّ اللواتي يتطلعن إلى البرق؟ ويسألن: هل الأمرُ عادٍ أن يغسلَ البرق

أثداءنا بالضوء؟

من هنَّ اللواتي لا يُعَلَقْنَ أَمْلا على الزوج، ولكن على الغيمة؟

أَسْنَأُهُنَّ ثَلَجٌ يَفِيضُ بِالْحَيَوِيَّةِ.

لا يتعبنَ في المسير، فالخطوةُ معبداً تحرسهُ الرِيحُ.

لهنَّ صلاةٌ واحدة لا تتوجهُ إلى السماء،

بل إلى الحقل.

هؤلاء النسوة الوافدات من النهر بجرارٍ طينية.

من هُنَّ؟

لا يقبلن إلا بقصيدة كعربونِ صداقةٍ. فمن هنَّ؟

يملكنَ ضحكة الماء،

يتذوقنَ الهواءَ بأيدي عاجية. فمن هُنَّ؟

بقلوبهن لا بأذانهن يصغين إلى الشعر.

بأقدامهن أيضاً.

النسوة اللواتي إلى السماء نظرنَ، وحدقن ملياً،

وتساءلن: هل تكونُ السماءُ ابتناً الضائعة؟
والشاعرُ يكتبُ بالقربِ من ثلوجهنَّ الواضحة،
وعلى شكلِ نعلٍ ترتديه السماء، يَضَعُ القصيدة.
فمنُ هن؟

38

الويلُ ثم الويلُ لشاعرٍ لم يقلْ فيها قصيدة!

39

لم أندرُ نفسي خادماً للأبجدية إلا لأخدمَ جمالكِ.

40

كلُّ جزءٍ من الكونِ لا يحتفلُ بلقائنا هو عدو بالضرورة.

41

أنتظرُك وأمططُ الزمن.

شهوةُ انتظارِك لا تعادِلُها إلا شهوةُ القرب.

كما يندُرُ الراهبُ حياته لربه اللأمري،
 أريد أن أندَرَ حياتي لكِ أنتِ المرئية،
 والمكللة بأعجازِ الحديقة.

أن تكونَ حياتي صومًا حافيا،
 التذاذًا حقيقيا بينابيع العطش،
 وتكوني أنتِ عيدي الأول والأخير!
 أنت التي لا يعيُها أن تُرى
 أنتِ وحدكِ
 أريد أن أكرِّس حياتي لكِ.

يفتحُ آدمُ عينيه على الجنة، وأفتحُ عينيَّ عليكِ.

44

جَنَّةُ آدَمَ تَنْقُصُهَا الْمَرْأَةُ، وَامْرَأَتِي لَا تَنْقُصُهَا الْجَنَّةُ.

45

تَرَكْتُ فَرَاغًا بِحَجْمِ الْعَطْرِ.

46

أَحْتَوِيكَ بَيْنَ ذِرَاعَيْيَ، وَلَا أَظْفِرُ إِلَّا بِظِلِّكَ.

47

تَتَعَرَّى مَعًا، لِنَجِيكِ لِبَاسًا لَشَهْوَتِنَا.

48

إِنَّمَا مَاهِرَةٌ فِي فَهْرَسَةِ كِتَابِ جُرُوحِكَ. تُنَادِيكَ، وَهِيَ لَا تَدْرِي أَنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنْهَا تَشْكُلُ قَبْرًا، وَكَلِمَةً أُخْرَى تَشْكُلُ رِصَاصَةً.

49

مَنْ قَالِكَ، لَنْ يَخِيبَ قَوْلُهُ!

50

أراكِ بقدر ما أسمعكِ، لا تَفَاوَتْ بين نهم الحواس. الملائكُ الفاسقُ بداخلي لا يفوّتُ فرصة ما.

51

خبيرٌ بظلكِ أيضا في أوقاتِ الغياب.

52

محظوظٌ اللهُ!

فقط لأنَّه خَلَقَكِ.

53

روحِي اسمٌ آخرٌ لروحكِ.

54

أن أحبّكِ: يعني أن انسحبَ قليلا من العالم، لأحضرَ حفلةً صاحبةً، ضيوفُها أخيلتي!

55

لَمْ أَحْبَبِكِ إِلَّا لِشَيْءٍ وَاحِدٍ:

ظَلَكِ يُشْبِعُ ظَلِي. أَمَا نَوَافِدُ الرِّغْبَةِ فَمَفْتُوحَةٌ إِلَى الأَبَدِ.

56

مَآذَا أُسَمِّيَ هَذَا الغِيَابُ؟ لَيْسَ بِشَجَرَةٍ وَلَا جِدَارٍ. شَيْءٌ مَرْنٌ يَتَشَكَّلُ كَالعَجِينَةِ فِي يَدِ طِفْلِ. فَهَلْ أَتَصَرَّفُ بِبَرَاءَةِ الأَطْفَالِ، وَأَعْجَنُ غِيَابِكِ لِأَصْنَعُ تَمَثَالًا لِحُضُورِكَ؟ أَحْسُ الآنَ بِغِيَابِكِ، كَرَسَائِلِ ضَوْءٍ بَيْنَ يَدَي. أَجْلِسْ إِلَى مَكْتَبِي المَصْنُوعِ مِنْ خَشَبِ المَاءِ. أَتَحْسَسُ وَرَقَ غِيَابِكِ كالأَعْمَى.

يَدَي: فَمَّ آخِر.

57

مَعْدَبَةٌ المَرْأَةُ الَّتِي تَكُونُ غَيْرِكَ!

58

لَا أَقَاسِمُكَ السَّرِيرَ أَيُّهَا السَيِّدَةُ! لَكِنْ حَتْمًا أَقَاسِمُكَ الهَوَاءَ!

59

فيك ما يشبه الوردة، وليس في الوردة ما يشبهك.

60

أصغي إلى الوردة التي تؤاخيك.

أختك بالرضاع أم بالمجاز؟

61

يختبئ الربيع في الوردة، وتختبئ في الحلم!

62

لخطوتها صدى في ذاكرة الوردة.

63

إذا حدثت وفكرت في غيرك، فإنني لا أخونك، بل أخون جسدي.

64

الهواء الذي يفصلنا عطر.

65

في الحُبِّ أخطى التقسيمات والتصنيفات. لا أرى في جسدك ما يُجِلُّ بآفاقِ
الروح. ما هُوَ حيواني يسمُو كملك، والملاكُ ينهلُ من بحيرة أرضية.

جميعُ أجزاءِ جسمكِ مقدسة، وأنا الكاهنُ السماويُّ أطوفُ مباركًا، لا أفرِّقُ
بين زوايا المعبد.

66

دعيني أراكِ بغموضِ الظل، وعلى ضوءِ الظل!

67

تعريفُ آخرُ للقمر؟

مسودةُ الله التي لم تنقح بعد لإنجازِ صورتك.

68

قد أطفئُ نفسي لأوقدكِ أنتِ!

69

تقفُ أمامِ اثنين: هي وظلها.

تنقيحاتٌ قمريةٌ تجريها بدون كلل، كي ترتبَ فوضى وجودها العابر، وفوضى توقيتها العابر. أنتَ تذكرُ يومَ رأيتها أول مرة، وقلت عنها معلقا ككاهنٍ متمرسٍ بالجمال:

هذه المرأةُ ستموتُ! لا لكونها شاحبة تنعم بالاصفرار الرومانسي، لكن لأنها تحملُ بذورا غريبة لا تنتمي إلى الكون. هي مُلحقة بالسماء منذ ولادتها. ثمة ثقب عاجي في أنفها مجهز لاستقبال الأقراط البسيطة، كإلهة لا تستقر في معبد، أو إلهة مهووسة بالقرابين المستعجلة.

إنها لا تستقر. بذرةٌ من الجمال العصبيّ على التعبير والتشكيل والصلاة أيضا. بمجرد ما لاحت في الأفق، قمتَ بمقارنة أولية بين ظلها وبين القمر المغروس في السماء، وأدركتَ أنها بدون وقتٍ وبدون مكان.

كيف أكتبُ عن الهروبِ والانفلات. لم يبقَ منها إلا ما يكفي لتدفئة القلب المريض. إنها ترنو إليك من شرفة حلم صعبِ التأويل. يداها تحتفظان بدفترٍ يومي يُعجُّ بكلام السُحب.

70

هذه أحجيتها في الحبِّ: تلمسني بقدر ما تلمسُ السماء!

71

- نتحدَّى الموت؟

- كيف؟

- لا ينالُ الموتُ من جسدين يتعانقان.

72

خصرُك بحجم شهوتي.

شُكرًا. أيها الخياطُ الكوني!



المحتويات

05	المجد لهفوات الربيع
75	معبد القهقهة
167	قماش الحديقة
205	المحتويات



دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا - في محاولة منا لتغذية شريان الثقافة - نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشر أعمالها بين القراء والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.





هذا العمل الإبداعي برعاية دار بسمة للنشر الإلكتروني
بشراكة مع جروب ملتقى الأقلام المبدعة...



للاطلاع على الصفحة الرسمية لدار بسمة للنشر
الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.



للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على
الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.



لا تسمعوا!

بهذه النصيحة القحة أواجهُ كلَّ من يرغبُ في النوم، كلَّ من يتصورني سافِطاً اللغة بمقاسه. أنا الخياط الرديءُ! لا أبرعُ في تفصيل عباءة لغوية لي، فكيفُ أعدكم بملبسٍ على المقاس؟ إنني أدخلُ نفسي، وكأن نفسي مطبخٌ سرّي لأعداد أفضع الوجبات وأمرها. لا أجد في داخلني إلا ما يمجّه الخوف.

كيف لقبو أن يقدم الضوء؟

كيف لسردابٍ عامر بالبحث أن يُفرج؟

معدني لا تعدُّ إلا بالغيثان..
لن أخجل إن صدمتُ أو جرحتُ إحساساً مروّضاً.

أنا خارج ما يُسمَع وضد ما يُقرأ وفوق ما يُكتب.

دار البسملة
للطباعة والنشر



Instagram, Facebook, and Twitter icons followed by the text bassmabook

Phone icon followed by the number 00212771814934

Email icon followed by the address darbassma1@gmail.com